

إكرامي عبد العاطي





سلسلة (**هل من مسبح؟**) سلسلة من خمسة أجزاء

الجزء الأول



إكرامي عبدالعاطي





مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي على عرشه استوى، والحمدُ لله فالق الحبِّ والنَّوى، والحمدُ لله القائل (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علَّمه شديد القوى، وصلاةً وسلاماً على عبده ورسوله الذي لا ينطقُ عن الهوى، والذي به استقام أمر الدِّين واستوى.

أمَّا بعد

فهذه سلسلة (هل من مسبح؟) وهي سلسلة من خمسة أجزاء في فضل الذكر لا سيما التسبيح الذي اصطفاه الله لملائكته وتلك السلسلة كان أصلها مجموعة من الدروس المختصرة والتي ألقيناها في عشر ذي الحجة المبارك من العام الهجري 1435هـ في ظل شرح حديث ((فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل)) وقد لخصت تلك الدروس في عدو مواضيع في بعض فضائل التسبيح في الدنيا والآخرة وتم طبعها وتصويرها بأعداد كثيرة جدا ووزعت على الناس ولاقت بفضل الله القبول واستحسان الجميع إلا أن أحد الفضلاء قد رغب إلينا أن تطبع الدروس في شكل كتيب صغير ليزداد النفع بها فتوكلنا على ربنا واستعنا بحوله وطوله وقوته وشرعنا في تبييضها واستدراك ما فات دون طباعة في الأوراق الموزعة إلا أن الأمر ودون أن نشعر قد اتسع واتخذ طريق البسط والزيادة فانتهى الأمر إلى كتاب ضخم من خمسة أجزاء كالتالي (الكون كله كائن حي) (الكون كله مسلم لله) (الكون كله عابد لله) (الكون كله ساجد لله) (الكون كله مسبح لله) وقد حوت دررا من الحديث النبوي فيما لا تجده في كتاب آخر.. وهذا الموضوع (التسبيح) كنا قد أفردنا له مؤلفا خاصا وهو كتاب ضخم بعنوان (لماذا لا تسبح؟) يربوا على الألف صفحة لما للتسبيح من الفوائد الكثيرة التي تزيد عن 70 فضيلة وفائدة في الدنيا و50 فضيلة وفائدة تعود على العبد في الآخرة. وختاما فهذا ما تيسر جمعه وإلا فالموضوع جد كبير وجد خطير فإن كان ثمة توفيق فمن الله وحده وإن كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان والله من وراء القصد

وكتبه الراجي عفو ربه والغريب في قومه / إكرامي المحلاوي

جمهورية مصر العربية – محافظة ومركز كفر الشيخ- قرية أبي طبل

ت/01098790988





الكون كائن حي

بين الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات أن كل ما في الكون حي، كلٌ على طريقته وكلٌ له سلوكه الذي يؤدي به دوره في الكون. وقد ظهر هذا وتجلى في صور متعددة منها ما هو مجمَل كقوله تعالى {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } [الإسراء: 44] ومنها ما هو مفصل كقوله تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ.. }[الحج: 18] والقرآن لا يفرق بين ما هو جماد – من وجهة نظرنا – وما هو حي على الحقيقة – من وجهة نظرنا أيضا – فالكل عند الله حي كلٌ على طريقته التي خَصَّه الله بها وميَّزهُ بها عن غيره، وهذا لا شكَّ فيه مُطلقًا، ولكن المشكلة أننا لا نفقه كُنْه هذه الحيَوات، ولا كيفية عملها، فقط يجب علينا الإيمان بها وتصديقها لأنَّها كلام الرَّبّ سبحانه {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الملك: 14] وهذا الكلام قد يعترض عليه بعض الناس قائلًا ومستنكرًا: وأين في القرآن الدليل على ما تقول؟ وكيف لم يفرق القرآن بين الحي والجماد في مسألة الحياة ومِن ثمَّ العبادة لا سِيَّما التَّسبيح على وجه الخصوص؟ والجواب على هذا ينقسم إلى قسمين: –

أولًا: أدلة ذلك من القرآن.

ثانيًا: أدلة ذلك من السنة. ثُمَّ بعض التعليقات منا ومن بعض السلف على بعض المواضع إذا لزم الأمر نقول وبالله التوفيق

أمَّا عن أدلة القرآن على حياة الكائنات كلها وعلى إمكانية نطقها وتلفظها بكلام في الجملة سواء فهمناه أم لا وعلى التسبيح بصفة خاصة وعلى التصرف كمن يعقل ويفهم فهي من الكثرة بحيث يصعب معها الاختصار لكن ننتقي منها ما يغيثنا في تلك العُجالة والرِّسالة الصَّغيرة والتي منها

ما ذكره الله سبحانه وتعالى على لسان السماوات والأرض:

{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}[فُصِّلَتْ: 11] فأثبت لهما سمعًا وفهمًا وقولًا.

ومنها ما ذكره من رد فعل السموات والأرض والجبال في مسألة عرض الأمانة {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: 72] فكيف تأبى وتشفق بل وكيف تخاطب وتخير إلا إذا كانت حية؟ !

قال العلامة السعدي رحمه الله:



يعظم تعالى شأن الأمانة، التي ائتمن اللّه عليها المكلفين، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال السر والخفية، كحال العلانية، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة، السماوات والأرض والجبال، عرض تخيير لا تحتيم، وأنك إن قمت بها وأدَّيتِهَا على وجهها، فلك الثواب، وإن لم تقومي بها، [ولم تؤديها] فعليك العقاب. {فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} أي: خوفًا أن لا يقمن بما حُمِّلْنَ، لا عصيانًا لربهن، ولا زهدًا في ثوابه، وعرضها اللّه على الإنسان، على ذلك الشرط المذكور، فقبلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل [تفسير السعدي: 1/ 673، 674]

وقال ابن جرير في تفسيره:

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: معناه: إن الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثيبت وجوزيت، وإن ضيعت عوقبت، فأبت حملها شفقًا منها أن لا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدم (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا) لنفسه َ(جُهولا) بالذي فيه الحظ له. [تفسير الطبري: 20/ 336]

قال القرطبي:

وَالْأَمَانَةُ تَعُمُّ جَمِيعَ وَظَائِفِ الدِّينِ عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الْأَقْوَالِ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ [تفسير القرطبي: 14/ 253)]

وقال رحمه الله:

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ" قَالَ: الْأَمَانَةُ الْفَرَائِضُ، عَرَضَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، إِنْ أَدَّوْهَا أَثَابَهُمْ، وَإِنْ ضَيَّعُوهَا عَذَّبَهُمْ. فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَأَشْفَقُوا مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَلَكِنْ تَعْظِيمًا لِدِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلَّا يَقُومُوا بِهِ. ثُمَّ عَرَضَهَا عَلَى آدَمَ فَقَبِلَهَا بِمَا فِيهَا. قَالَ النَّحَّاسُ: وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ التَّفْسِيرِ. وَقِيلَ: لَمَّا حَضَرَتْ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَفَاةُ أُمِرَ أَنْ يَعْرِضَ الْأَمَانَةَ عَلَى الْخَلْقِ، فَعَرَضَهَا فَلَمْ يَقْبَلْهَا إِلَّا بَنُوهُ. وَقِيلَ: هَذِهِ الْأَمَانَةُ هِيَ مَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالْخَلْقِ، مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ أَنْ يُظْهِرُوهَا فَأَظْهَرُوهَا، إِلَّا الْإِنْسَانَ فَإِنَّهُ كتمها وجحدها، قال بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ. وَمَعْنَى" عَرَضْنَا" أَظْهَرْنَا، كَمَا تَقُولُ: عَرَضْتُ الْجَارِيَةَ عَلَى الْبَيْعِ. وَالْمَعْنَى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ وَتَضْيِيعَهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ" فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها" أي أن يحملن وزرها، كما قال عز وجل: " وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ" [العنكبوت: 13]. " وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ" قَالَ الْحَسَنُ: الْمُرَادُ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ. " إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً" لِنَفْسِهِ" جَهُولًا" بِرَبِّهِ. فَيَكُونُ على هذا الجواب مجازا، مثل: " وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ" [يوسف: 82]. وَفِيهِ جَوَابٌ آخَرُ عَلَى أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً أَنَّهُ عَرَضَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ الْأَمَانَةَ وَتَضْيِيعَهَا وَهِيَ الثَّوَابُ

وَالْعِقَابُ، أَيْ أَظْهَرَ لَهُنَّ ذَلِكَ فَلَمْ يَحْمِلْنَ وِزْرَهَا، وَأَشْفَقَتْ وَقَالَتْ: لَا أَبْتَغِي ثَوَابًا وَلَا عِقَابًا، وَكُلٌّ يَقُولُ: هَذَا أَمْرٌ لَا نُطِيقُهُ، وَنَحْنُ لَكَ سَامِعُونَ وَمُطِيعُونَ فيما أمرن به وسخرن له، قاله الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْلُومٌ أَنَّ الْجَمَادَ لَا يَفْهَمُ وَلَا يُجِيبُ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ الْحَيَاةِ عَلَى الْقَوْلِ الْأَخِيرِ. وَهَذَا الْعَرْضُ عَرْضُ تَخْيِيرٍ لَا إِلْزَامٍ. وَالْعَرْضُ عَلَى الْإِنْسَانِ إِلْزَامٌ [تفسير القرطبي: 255/14]

ومن أروع ما قيل في هذه الآية ما ذكره العلامة الشنقيطي في (أضواء البيان): ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه عرض الأمانة، وهي التكاليف مع ما يتبعها من ثواب وعقاب على السماوات والأرض والجبال، وأنهن أبين أن يحملنها وأشفقن منها، أي: خفن من عواقب حملها أن ينشأ لهنّ من ذلك عذاب اللَّه وسخطه، وهذا العرض والإباء، والإشفاق كلّه حق، وقد خلق اللَّه للسماوات والأرض والجبال إدراكًا يعلمه هو جلَّ وعلا، ونحن لا نعلمه، وبذلك الإدراك أدركت عرض الأمانة عليها، وأبت وأشفقت، أي: خافت.

ومثل هذا تدلّ عليه آيات وأحاديث كثيرة، [أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 36 /139 وانظر ما بعدها]

وقال تعالى على لسان سليمان ﷺ{عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ.. } [النمل: 16] فأثبت للطير منطقا

وقال على لسان الهدهد:

{أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [النمل: 22 . 26] فأثبت له منطقا وفهما ودراية وبلاغة وتوحيدا

وقال على لسان النملة:

{.. يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }[النمل: 18] فأثبت لها نطقا وعشرة ألوان من بليغ الكلام

وقال على لسان النار يوم القيامة:

{.. هَلْ مِنْ مَزِيدٍ }[ق: 30] فأثبت لها منطق وشوقا

وقال على لسان الأعضاء يوم القيامة:

{.. أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ...}[فصلت 21] فأثبت لها منطقا وفهما وعلما

فإذا كان الله قد أثبت للمخلوقات على تنوّعها كلامًا ومنطقًا فإثباته لها تسبيحًا وتأويبًا أوْلَى وأوْلَى كما قال سبحانه{ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. }[الحديد: 1] فأثبت لكل شيء تسبيحًا في الماضي

{يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. }[الحشر: 24] فأثبت لكل شيء تسبيحًا مستمرًا

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ.. }[النور: 41] فأثبت لكل عاقل في السموات والأرض تسبيحًا ثم أثبت للطير صلاة وتسبيحًا كما أثبتها للعقلاء في السموات والأرض.

وقال تعالى:

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ }[الرعد: 13] فأثبت للرعد(سواء أكان الرعد ملكا أم الظاهرة المعروفة) تسبيحًا كما أثبته لعموم الملائكة

وقال تعالى:

{وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ.. }[الأنبياء: 79] فأثبت للجبال والطير تسبيحًا

وقال تعالى عنهما:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ...}[سبأ: 10] فأثبت لهما تأويبًا

وأثبت لهما فهما لما يؤمرا به.

والآية الجامعة القاطعة بأنّ الكل يذكر ويُسبِّح

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} الإسراء: 44 فأثبت لكُلِّ صغيرٍ وكبيرٍ وكل ظاهر وخفي تسبيحًا.

هذا ولو تأمَّلنا في أسلوب النِّداء القرآني لوجدناه لا يُفرِّق بين نداء ما يعتقده العلماء حيًّا وما يعتقدونه ميتًا والعلماء هنا هم علماء الغرب. فالله يُنادي الكل نداء العاقل المدرك لما يُنادَى به، وذلك لأنّ كلّ شيء في الكون حي على طريقته سواء أنُفِخَتْ فيه روح أم لا!

وتأمل معي هذه الآيات

{.. يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي...} [هود: 44]

{.. يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ.. } [سبأ: 10]

{.. يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا.. } [الأنبياء: 69]

{ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا.. } [النحل: 68-69]

{ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا } [الزلزلة: 4-5] في الوقت الذي ذكر فيه الوحي للأنبياء وبعض أفراد بني آدم عليه السلام كما قال سبحانه:

{ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ.. }[النساء: 163]



{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى.. }[القصص: 7]

فأوحى إلي العاقل وغير العاقل على السواء على اختلاف الوحي في كل حالة عن الأخرى.

وتقسيم المخلوقات إلى عاقلة وغير عاقلة تقسيم نسبي، أما حقيقة الأمر خلاف ذلك فلكلٍ عقل يناسب طبيعة تكوينه ووظيفته في الكون {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى }[طه: 50] {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } الأنعام: 38 {كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ }[النور: 41] فالكلاب أمة من الأمم ولولا ذلك لأمر النبي ﷺ بقتلها كلها لكنه حصر الأمر في الكلب الأسود لأنَّه شيطان متشكِّل في صورة كلب كما هو معروف واستثنى كلب الصيد وكلب الماشية كما ثبت من حديث عبد الله بن مغفل ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: « لولا أنّ الكلاب أمّة من الأمم لأمرت بقتلها كلّها فاقتلوا منها كلّ أسود بهيم » [صحيح: رواه الترمذي في سُننه 1486، 1489 واللفظ له، والطبراني في الأوسط 508، والدارمي في سننه 2008، وأحمد في المسند 20566، 20567، 20581، وفي العلل ومعرفة الرجال 345، وابن الجعد في مسنده 3181، وعبد بن حميد في مسنده 503، وابن عساكر في معجمه 441/1 برقم 907، والروياني في مسنده 868، 892، وابن الأعرابي في مسنده 196، وأبو نعيم في الحلية 111/7، وفي معرفة الصحابة 4518، 4519، وابن البخاري في المشيخة 1168/2، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 1662/489/4 وصحّحه الألباني في سنن الترمذي، وفي صحيح الجامع 5321، وصححه لغيره في صحيح الترغيب 3102 وصححه حسين سليم أسد في سنن الدارمي وللحديث روايات كثيرة في السنن] وعن جابر ﵁ أنّه قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: « لولا أنّ الكلاب أمّة من الأمم لأمرت بقتلها، ولكن اقتلوا الكلب الأسود البهيم فإنّه شيطان» [صحيح: رواه ابن حبّان في صحيحه 5658 واللفظ له، والهيثمي في موارد الظمآن 1083، وصحّحه شُعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان] وأصله عند مسلم من حديث جابر ﵁ قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ الْكِلاَبِ حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ تَقْدَمُ مِنَ الْبَادِيَةِ بِكَلْبِهَا فَنَقْتُلُهُ ثُمَّ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَتْلِهَا وَقَالَ « عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ الْبَهِيمِ ذِي النُّقْطَتَيْنِ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ ». [صحيح: رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب: الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك 4103]

. وعند مسلم من حديث ابْنِ عُمَرَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الْكِلاَبِ إِلاَّ كَلْبَ صَيْدٍ أَوْ كَلْبَ غَنَمٍ أَوْ مَاشِيَةٍ. [صحيح: رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب: الأمر بقتل الكلاب...الخ برقم 4102، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة . بيروت] فالكلاب باستثناء الأسْوَد منها لها منافع في الصيد والحراسة وغيرها.



والشّاهد أنّها أمّة من الأمم التي لها نظام معيشة وتكاثر وقوانين وتنشب بين فصائلها المشادّات والمشاحنات والعلاقات المختلفة على تنوعها.

كم ثبت من حديث أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي فِيمَا تَنْتَطِحَانِ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: وَلَكِنْ رَبُّكَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. [إسناده صحيح: رواه الطيالسي في مسنده 480 وصحح الألباني إسناده في الصحيحة تحت حديث 1588، ورواه أحمد في المسند 21476 بلفظ: لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن وهذا إسناد ضعيف لجهالة أشياخ منذر الثوري]

والنّمل أمّة من الأمم وهي أمّة عابدة مسبِّحة كما ثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ؟ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب السلام، باب: النهي عن قتل النمل 1445] وهو صريح في كون النّمل يسبح كغيره من المخلوقات لعموم الأدلة على ذلك وإذا كان يسبح فهذا دليل كونه كائنًا حيًّا.

والنّمل يدعو لمعلم الناس الخير كما ثبت من حديث أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ [صحيح: رواه الترمذي 2685 واللفظ له، والطبراني في الكبير 7912، والطوسي في مستخرجه 52 ولفظه: إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض...الخ، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال 216 ولفظه: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ» فلم يذكر الحوت، وفي الكتاب اللطيف 53 ولفظه كلفظ الطوسي، والهيثمي في مجمع الزوائد 513 بلفظ: إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها حتى الحوت في البحر...الخ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 137، وصححه الألباني في سنن الترمذي، وصححه في صحيح الجامع 1838، 4213، وحسنه لغيره في صحيح الترغيب 81، وحسنه في المشكاة 213]

فلماذا يدعو النمل والحوت لمعلم الناس الخير؟

قال ابن القيم في (مفتاح دار السعادة):

فقيل سبب هذا الاستغفار أن العالم يعلم الخلق مراعاة هذه الحيوانات ويعرفهم ما يحل منها وما يحرم ويعرفهم كيفية تناولها واستخدامها وركوبها والانتفاع بها وكيفية ذبحها على أحسن الوجوه وارفقها بالحيوان والعالم أشفق الناس على الحيوان واقومهم ببيان ما خلق له وبالجملة فالرحمة والإحسان التي خلق بهما وهما

الحيوان وكتب لهما حظهما منه إنما يعرف بالعلم فالعالم معرف لذلك فاستحق أن تستغفر له البهائم والله أعلم [مفتاح دار السعادة (ج 65/1]

والنمل يتوجه إلى الله بالدعاء وقت الأزمات كما ثبت من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " خَرَجَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنبِيَاءِ بِالنَّاسِ يَسْتَسْقِي فَإِذَا هُوَ بِنَمْلَةٍ رَافِعَة بَعْض قَوَائِمهَا إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: ارْجِعُوا فَقَدِ اسْتُجِيبَ لَكُم مِّنْ أَجْلِ هَذِهِ النَّمْلَة ". [صحيح: رواه الدارقطني في سننه 66/2 حديث رقم: 1، والحاكم في المستدرك 1215، والسيوطي في الجامع الكبير 12096/1، وفي جامع الأحاديث 11893، وأبو الشيخ في العظمة 1753/5، وأبو القاسم الشافعي في تاريخ دمشق 288/22، وصححه الألباني في المشكاة برقم 1510]

بل قد تكون هذه المخلوقات الذاكرة لله والمسبحة له على الدوام أعقل من بني آدم لأنها أبت حمل الأمانة وعرفت قدر نفسها فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا الأحزاب: 72 ويظهر ذلك جليا من كون الكائنات تسبح الله في حين يعيش الإنسان الذي يدعي أنه أعقل المخلوقات في غفلة متناهية.. كيف ذلك؟

قال ابن القيم رحمه الله وهو يتحدث عن نملة سليمان ﷺ: (.. فأخبر الله سبحانه عن النمل أنه ركب فيه مثل هذا الشعور والنطق ولا سيما هذه النملة التي جمعت في هذا الخطاب بين النداء والتعيين والتنبيه والتخصيص والأمر وإضافة المساكن إلى أربابها والتجائهم إلى مساكنهم فلا يدخلون على غيرهم من الحيوانات مساكنهم والتعذير والاعتذار بأوجز خطاب وأعذب لفظ ولذلك حمل سليمان ﷺ التعجب من قولها على التبسم وأحرى بهذه النملة وأخواتها من النمل أن يكونوا أعرف بالله من الجهمية). [مفتاح دار السعادة: (1/ 210، 211]

دعك من النمل ألم تسمع لقصة الجذع الذي بكى لما فقد من الذكر فمن أي جزء بكى وأين عقله؟ لو قارنَّاه بالإنسان الذي يظل سنوات عديدة لا يعرف له ربًّا ولا يذكر الله ولا يصلي بل يهزؤ بأهل الذكر والإيمان فهل هذا عاقل؟ بالتأكيد الجذع أعقل منه.

ويوم القيامة ستكتشف أن أعضاؤك كانت كائنات حية تسمع وترى وتسجل لك كل شيء عندما تجدها تشهد عليك كما قال الله { يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }النور: 24

وقوله{ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} يس: 65

ويحدث حوار بين العبد وأعضاؤه وكأنها شخص أمامه يكلمها وتكلمه شخص يعقل ويفهم ما يقول كما قال سبحانه{ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21)

وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ }فصلت: 20ـ 22 ويوضح هذا ما ثبت من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ « هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ ». قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ « مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِى مِنَ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى. قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّى لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِى إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّى قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا – قَالَ – فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ انْطِقِى. قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ – قَالَ – ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ – قَالَ – فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ »[صحيح: رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب: (1) 7629]

أمّا من السنة فيتعذر حصر جميع الأحاديث التي تؤكد أنّ كلّ شيء في الكون يتكلّم وينطق ويسمع ويفهم ويمتثل الأوامر ويتصرف ككائن حي بكل ما تحمله الكلمة من معاني.

فمنها ما ثبت عن شيخ من بني غفار: قَالَ النبي ﷺ: إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ السَّحَابَ، فَيَنْطِقُ أَحْسَنَ النُّطْقِ، وَيضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ [صحيح: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد 3297 واللفظ له، وابن الأثير في أسد الغابة 6543، و الرامهرمزي في أمثال الحديث 125 كلهم بلفظ الهيثمي تقريبا، ورواه أبو الشيخ في العظمة 1244/4 رقم 71811 ولفظه: " يُنْشِئُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ السَّحَابَ فَتَنْطِقُ أَحْسَنَ النُّطْقِ وَتَضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ"، ورواه أحمد في المسند 23736، والهيثمي في غاية المقصد 1218/1، والبيهقي في الأسماء والصفات 988، والعقيلي في الضعفاء الكبير 35/1 رقم 18، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، 5220، وابن أبي الدنيا في كتاب المطر 91 كلهم بلفظ: فَيَنْطِقُ أَحْسَنَ الْمِنْطِقِ، وَيَضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ، ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة 7171 ولفظه: فَيَنْطِقُ أَحْسَنَ مَنْطِقٍ، وَيَضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ، وصححه الألباني في صحيح الجامع 1920، و في الصحيحة 1665، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند وقال: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابية الغفاري، وصححه الوادعي في الجامع الصحيح 1511 وقال: هذا حديث صحيح] وهو صريح في كون السَّحاب ينطق ويضحكُ ولا مجال للتأويل هُنَا. وحيث ثبت نطقه وضحكه فثبوت تسبيحه ومن ثَمَّ حياته أولى وأولى.

ومنها: حديث أبي بكر ﷺ قال ﷺ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو ذَرْبَ اللِّسَانِ. [صحيح: رواه أبو يعلى في مسنده 17/1 رقم 5، والضياء في المختارة 3/1، وابن السني في عمل اليوم والليلة 7 كلهم باللفظ المذكور، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد 18175 بلفظ قريب منه، ورواه البيهقي في شعب الإيمان 4947 بلفظ: ليس شيء من الجسد إلا يشكو ذرب اللسان على حدته، وابن السني في عمل اليوم والليلة 7 بلفظ: إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اللِّسَانَ عَلَى حِدَّتِهِ، وصححه الألباني في صحيح الجامع

5396، وصحح رواية البيهقي في صحيح الترغيب 2873] وهو صريح في كون كل جزء في الجسد حي حياة حقيقة وكأن كل جزء في الجسد كائن حي منفصل ومستقل له كلامه الخاص وحياته الخاصة والتي لا يوجد دليل عليها أبلغ من الشكوى فإن الميت لا يشكو وهذا معلوم. ويؤكد هذا ما ثبت من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ رَفَعَهُ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا [إسناده صحيح: رواه الترمذي في سننه 2407واللفظ له، والبيهقي في شعب الإيمان 4945، وفي الآداب 294، وأبو يعلى في مسنده 1185، وأحمد في المسند 11927، وفي الزهد 195/1 والطيالسي في مسنده 2209، وعبد بن حميد في مسنده 979، وأبو نعيم في الحلية 309/4، وابن المبارك في الزهد 1012، وهناد في الزهد 1097، والديلمي في القردوس 1276، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال 393، و شُهْدَة بنت أحمد في العمدة من الفوائد والآثار الصحاح والغرائب 66/1، وصححه إسناده حسين سليم أسد في مسند أبي يعلى، وحسنه الألباني في سنن الترمذي، وفي صحيح الجامع 351، وفي صحيح الترغيب 2871 وقال: رواه الترمذي وابن أبي الدنيا وغيرهما وقال الترمذي رواه غير واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعوه قال وهو أصح، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط في المسند]. وهو صريح في دلالته على كلام أعضاء الإنسان وإن لم نسمعها وهذا الحديث يحتاج كغيره من الغيبيات إلى يقين، فطالما الحديث ثابت عن رسول الله ﷺ فلا مجال للشك أو الاعتراض.

ومنها: حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال (إِذَا وُضِعَتْ الْجِنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ قَدِّمُونِي وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ) [صحيح: رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب: حمل الرجال للجنازة دون النساء رقم 1251، وباب: باب قول الميت وهو على الجنازة قدموني 1253، وباب: كلام الميت على الجنازة 1314، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ - 1987م تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق]

وفيه دلالة صريحة لا تدع مجالا للشك أو التأويل في كون الجنازة والتي هي الميت نفسه تتكلم على الرغم أن الميت حينئذ ليس فيه روح لأنها ستعود إليه في القبر بعد انتهاء دفنه وانصراف الناس عنه.. ويؤكد هذا قوله ﷺ: يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ. وهذا الأمر له شاهد علمي لا يؤكده إذ هو وحي وصدق، لكنه فقط يشرحه ويوضحه وهو أننا لا نسمع موجات اللاسلكي ولا موجات الراديو وهي تسير في الجو إلا بعد استقبالها بمستقبلات خاصة؛ لأنها فوق أو تحت مستوى سمع الأذن؛ لأن لها مدى محدود من 20- 20 ألف ذبذبة تقريباً وما قل عن ال 20 أو زاد عن 20 ألف فلا تسمع الأذن منه شيئاً.



ومنها حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَطَالِبُ الْعِلْمِ – أَوْ صَاحِبُ الْعِلْمِ – يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ. [صحيح: رواه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية 3082 عن أبي يعلى، ووكيع في نسخته عن الأعمش 1 / 98، وابن عبد البر في العلم 13 ولفظه: (حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ)، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة 197/1رقم 2/260، والبرهان فوري في كنز العمال 28737 وصححه الألباني في صحيح الجامع 3753، 3914] وهو صريح في كون صاحب العلم يستغفر له من في الماء والأرض من مخلوقات ويؤكد هذا ما تقدم من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ) وهو صريح في إثبات دعاء تلك المخلوقات في العالمين العلوي والسفلي الأرضي لمعلم الناس الخير ولئن يثبت في حق هذه الكائنات إمكانية النطق بالاستغفار والدعاء كما ثبت لغيرها من الجمادات النطق والكلام والشكوى كما ظهر في الأحاديث السابقة فثبوت حياتها ومن ثم تسبيحها لله أولى وأولى.

ونذكر من جملة أدلتنا من السُّنَّةِ على أن الكون كله ينطق ويتكلم: حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لَيْسَ مِنْ فَرَسٍ عَرَبِيٍّ، إِلاَّ يُؤْذَنُ لَهُ عِنْدَ كُلِّ فَجرٍ بِدَعْوَتَيْنِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَوَّلْتَنِي لِمَنْ خَوَّلْتَنِي مِنْ عِبَادِكَ، فَاجْعَلْنِي مِنْ أَحَبِّ أَهْلِهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ أَوْ أَحَبَّ أَهْلِهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ. [صحيح: رواه البزار في مسنده 3893 واللفظ له، و البيهقي في الكبرى 12680، وأبو نعيم في الحلية 387/8، والدارقطني في العلل 1123، وأبو الشيخ في ا لعظمة 1779/5 رقم 12813، والحاكم في المستدرك 2457، 2638، والنسائي في السنن 3579، وفي الكبرى 4405، وأحمد في المسند 21535، وفي العلل ومعرفة الرجال 5777، وصححه الألباني في سنن النسائي، وفي صحيح الجامع 2414، وفي صحيح الترغيب 1251، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند موقوفا وعلى فرض ثبوته موقوفا فقط فله حكم الرفع لأنه لا يعرف من قبل الرأي والله أعلم] وهذا صريح جدا في كون الفرس يتكلم ويدعو فهو كائن حي وهو فرد في أمَّة من الأمم.

ومنها حديث أبي هريرة ﷺ عنه ﷺ قال: ((إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِثَ عَنْ دِيْك قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْض وَعُنُقَه مُنْثَنٍ تَحْتَ العَرْش وَهُوَ يَقُوْلُ: سُبْحَانَك مَاَ أَعْظَمَكَ ربّنا، فَيَرُدَّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلِفَ بِي كاذبًا)). [صحيح: رواه الحاكم في المستدرك 7813، والطبراني في الأوسط 7324، والسيوطي في الجامع الكبير 8322/1، وأبو الشيخ في العظمة 1004/3، 1755/5، وصححه الألباني في صحيح الجامع 1714، وفي الصحيحة 150، وفي صحيح الترغيب 1839، وصححه الشيخ مصطفى العدوي في صحيح الأحاديث القدسية 156]



حديث انس ﷺ قال ﷺ: أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ رِجْلاهُ في الأَرْضِ السُّفْلى وعلى قَرْنِهِ العَرْشُ وَبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وعاتِقِهِ خَفَقانُ الطَّيْرِ سَبْعَمائَةِ سَنَةٍ يقولُ المَلَكُ سُبْحانَكَ حَيْثُ كُنْتَ [صحيح: رواه الطبراني في الأوسط 6503 واللفظ له، والسيوطي في الجامع الكبير 1334/1، 1336/1، وصححه الألباني في صحيح الجامع 853 بلفظ قريب منه] وثبوت كلام الملائكة وتسبيحها لا يحتاج لكثير كلام.

وعن حَسَّان بْن عَطِيَّة قَالَ: " حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثَمَانِيَة يَتَجَاوَبُونَ بِصَوْتٍ حَسَنٍ رَخِيمٍ فَيَقُولُ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَلَى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ وَيقُولُ أَرْبَعَةٌ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ" [إسناده قوي موقوفا: أخرجه الذهبي في العلو 148/1 رقم 149، وأبو نعيم في الحلية 74/6، وقوى الذهبي إسناده ووافقه الألباني في مختصر العلو 75/1، ورواه أبو الشيخ في العظمة 481 عن هارون بن رياب ولفظه: حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثَمَانِيَة يَتَجَاوَبُونَ بِصَوْتٍ حَزِينٍ رَخِيمٍ يَقُولُ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ...الخ، وبمثله رواه البيهقي في الشعب 364، ورواه الذهبي في تاريخ الإسلام 281/8، وأبو نعيم في الحلية 55/3 عن هارون بلفظ حسان] وعن شَهْر بْن حَوشَب قَالَ: "حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثَمَانِيَة فَأَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ يَقُولُونَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ عَلَى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ وَأَرْبَعَةٌ يَقُولُونَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ عَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ قَالَ وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ ذُنُوب بَنِي آدَمَ "[إسناده حسن موقوفا: رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش وما روي فيه 63/1 برقم 24، مكتبة السنة . القاهرة، الطبعة الثانية، 1410هـ ـ 1990م وقال محقق الكتاب أبو عبد الله محمد بن حمد الحمود: إسناده حسن]

ومن أدلَّة السُّنَّة أيضًا حديث عبادة بن الصَّامت ﷺ أنَّه قال لابنه: " يا بُنَيَّ إنَّك لن تَجِدَ طعمَ حقيقةِ الإيمانِ حتّى تَعلمَ أن ما أصابَكَ لم يكُنْ ليُخطئَكَ، وما أخطَأكَ لم يكُنْ ليُصيبَك، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "إن أوَّلَ ما خلقَ اللهُ القلمُ، فقال له: اكتُبْ، قال: ربِّ، وماذا أكتُبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كل شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ"، يا بني، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "مَنْ ماتَ على غير هذا فليسَ منيّ" [صحيح: رواه أبو داود في سننه 4700 واللفظ له، والترمذي في سننه 2155، 3319، والبيهقي في الكبرى 20664، وفي الاعتقاد 136/1، وفي القضاء والقدر 11، 486، وابن بطة في الإبانة 1362، 1363، وأحمد في المسند 22757، 22759، وابن الجعد في مسنده 3444، والبزار في مسنده 2687، والطبراني في مسند الشاميين 58، 59، 1949، وفي الأوائل 22/1 رقم 1، والطيالسي في مسنده 577، والضياء في المختارة 336، 426، 429، 431، 446، وابن أبي عاصم في السنة 102، 103، 104، 105، 107، والشاشي في مسنده 1192، وأبو نعيم في الحلية 248/5، وابن وهب في القدر 26، 27، والفريابي في القدر 425، والدارقطني في جزء أبي الطاهر 12، والحراني في الأوائل 38/1



رقم 3، 4، وابن البخاري في مشيخته 961/2، وابن قانع في معجم الصحابة 191/2 تحت حديث 689، والدولابي في الكنى والأسماء 555، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة 357، 1097، وصححه الألباني في سنن أبي داود والترمذي، وفي صحيح الجامع 2017، 2018، وصححه في ظلال الجنة بأرقام 102، 104، 105، وصححه لغيره برقم 103، وحسنه برقم 107، كما صححه لغيره الشيخ مصطفى العدوي في صحيح الأحاديث القدسية 67/1، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند وقال: حديث صحيح وهذا إسناد حسن في الرواية الأولى، وقال: حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد الله بن لهيعة في رواية أحمد الثانية، وحسنه في سنن أبي داود] فأثبت للقلم إدراكا وكلاما

ومن حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﭬ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ، وَأَمَرَهُ، فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ يَكُونُ» [صحيح: رواه أبو يعلى في معجمه 69 واللفظ له، والبيهقي في القضاء والقدر 10، وابن أبي عاصم في السنة 108 وعبد الله بن أحمد في السنة 854 وصححه الألباني في ظلال الجنة 108 وقال: حديث صحيح رجاله كلهم ثقات غير يعمر بن بشر لم يذكر فيه ابن أخي حاتم جرحا ولا تعديلا لكنه قد توبع من قبل الإمام أحمد وكفى به حجة وقد خرجته في الصحيحة]

وهذا صريح في كون القلم قد خاطب رب العالمين ساعة خلقه.

ومنها: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﭬ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ؟ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب السلام، باب: النهي عن قتل النمل 1445] وهو صريح في كون النمل يسبح كغيره من المخلوقات لعموم الأدلة على ذلك.

ومنها: حديث أَبِي سَعِيدٍ ﭬ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ في قصة قاتل المائة نفس (...فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ فَأَوْحى اللهُ إِلَى هذِهِ: أَنْ تَقَرَّبِي وَأَوْحى اللهُ إِلَى هذِهِ: أَنْ تَبَاعَدِي وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إِلَى هذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله رقم 1760] وفيه إثبات الوحي للأرض ولو لجزء منها كما في هذه القصة في حين ثبت الوحي من قبل للأرض كلها كما صرحت الآية بذلك.

وإليك بعض الأدلة الخاصة التي تؤكد ما قلناه بشأن حياة الصخور الفردية والأحجار فمنها حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﭬ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ » [صحيح: رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي وتسليم الحجر عليه 6078] فمن أي جزء تكلم الحجر وسلم على النبي ﷺ بل وكيف علم أنه سيكون نبي فخصه بالسلام قبل البعثة؟ إن هذا لا



يتأتى إلا إذا رُكِّبَت فيه أدوات للفهم والإدراك لا نعلمها ولا نراها، فنحن لا نعلم كل شيء وما خفي عن الإنسان أكثر بكثير مما علم حتى الآن.. والأدلة على كون السموات والأرضين بما فيهن من خلائق الكل يعلم بنبوة محمد ﷺ كثيرة وستأتي معنا إن شاء الله.. الشّاهد أنَّ الحجر كانُ يسَلِّم على النبي ﷺ وقبل أن تقول أنَّ هذا دليل كونه يتكلم لا كونه يسبح إليك هذا الدليل العجيب وهو من حديث أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ إِنِّي انْطَلَقْتُ أَلْتَمِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ حَوَائِطِ الْمَدِينَةِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ أَبُو ذَرٍّ حَتَّى سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ أَبُو ذَرٍّ وَحَصَيَاتٌ مَوْضُوعَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَهُنَّ فِي يَدِهِ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي الأَرْضِ فَسَكَتْنَ ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي الأَرْضِ فَخَرَسْنَ ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُمَرَ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي الأَرْضِ فَخَرَسْنَ ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُثْمَانَ فَسَبَّحْنَ ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي الأرض فخرسن. [صحيح: رواه ابن أبي عاصم في السنة 1146 واللفظ له، والطبراني في الأوسط 1244، 4097، وفي مسند الشاميين 1837، وابن الأثير في أسد الغابة 819، والهيثمي في مجمع الزوائد 8924، ورواه الخلال في السنة 351، والبزار في مسنده 4040، 4044، والهيثمي في كشف الأستار 2413، وفي مجمع الزوائد 14103، والطبراني في مسند الشاميين 3198، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة 1485، وخيثمة الأطرابلسي في حديثه 105/1، والبيهقي في دلائل النبوة 64/6 ولفظهم: فَسَبَّحْنَ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ، وصححه الألباني في ظلال الجنة 1146 بلفظ ابن أبي عاصم]

وهذا دليل صريح في كون الصخور سبَّحت في أيدي بعض الصَّحابة، وهذا لا ينفي كونها كانت تسبح في يد أبي جهل وأبي لهب بل وفي يد فرعون وقارون وهامان.. وإنما أسمعَ الله الصَّحابة تسبيح الحصى في أيديهم كما أسمعهم تسبيح الطعام وهو يؤكل وهم في حضرة النبي ﷺ كرامة لهم.. وهذا من جنس ما كان يحدث مع داود ﷺ من تجاوب الجبال والطيور معه بالتسبيح فإلههم إله واحد.. ولا ينفي هذا كون الجبال وغيرها تتجاوب مع المؤمن في ذكره على أي حال.. ودليل ذلك ما ثبت من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا" [صحيح: رواه الترمذي في سننه 828 واللفظ له، ورواه الطبراني في الكبير 5740، والحاكم في المستدرك 1656 ولفظهما: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَا عَنْ يَمِينِهِ وَمَا عَنْ شِمَالِهِ مِنْ شَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ.. الخ، وصححه الألباني بلفظ الترمذي في سنن الترمذي، وفي صحيح الجامع 5770، وفي المشكاة 2550، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 249/1]

وفي رواية عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (مَا مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي إِلاَّ لَبَّى مَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ. حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا) [صحيح: رواه ابن ماجة في سننه 2921 واللفظ له، والبيهقي في

الكبرى 8801، وفي الصغرى 1530، والطبراني في الكبير 5741، وفي الأوسط 256، وفي مسند الشاميين 2085، والروياني في مسنده 1063، وأبو نعيم في الحلية 329/8، وابن خزيمة في صحيحه 2634، وأبو الشيخ في العظمة 116060، وصححه الألباني في سنن ابن ماجة، وفي صحيح الترغيب والترهيب 1134، وفي مناسك الحج والعمرة 17/1 وقال: رواه ابن خزيمة والبيهقي بسند صحيح، وصححه الأعظمي في صحيح ابن خزيمة وقال: إسناده صحيح]

فجاء الحديث مرة بلفظ (ما عن يمينه) ومرة بلفظ (من عن يمينه) و(من) تأتي للعاقل وهذا لا يكون إلا في حي

هل تخيلت يوما ما حجرًا في ظاهِرِهِ أصم أو شجرة أو مدر (قِطَعُ الطينِ اليابِسِ [وقيل الطينُ العِلْكُ الذي لا رمل فيه واحدته مَدَرَةٌ [لسان العرب لابن منظور 5 / 162) دار صادر – بيروت الطبعة الثالثة، 1414 هـ] وهي تلبي كما يلبي الحاج كما ثبت في الصحيحين من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب الحج، باب: التلبية وصفتها ووقتها 736] ومن هذا أيضا ما ثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ ﷺ يُغْفَرُ لِلْمُؤَذِّنِ مَدَّ صَوْتِهِ وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ وَشَاهِدُ الصَّلاَةِ يُكْتَبُ لَهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ وَيُكَفَّرُ عَنْهُ مَا بَيْنَهُمَا [صحيح: رواه أحمد في المسند 9937 واللفظ له، والطبراني في الأوسط 121 مختصرا، وإسحاق بن راهويه في مسنده 152، والدارقطني في العلل 1613، والبيهقي في الكبرى 1873، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند وقال: صحيح وهذا إسناد جيد، وصححه الألباني في صحيح الترغيب تحت حديث 234 بلفظ: الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَّ صَوْتِهِ وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ...الخ وقال حسن صحيح، وصححه في المشكاة 667 باللفظ ذاته وقال: صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وروى النسائي إلى قوله: "كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ ". وقال: " وَلَهُ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ صَلَّى "]

وفي رواية عنه رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ وَشَاهِدُ الصَّلاَةِ يُكْتَبُ لَهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ صَلاَةً وَيُكَفَّرُ عَنْهُ مَا بَيْنَهُمَا ». [صحيح: رواه أبو داود في سننه 515 واللفظ له، والنسائي في الكبرى 1609، وفي السنن 645، والبيهقي في الكبرى 1728، 1874، وفي شعب الإيمان 3056، وابن حبان في صحيحه 1666، وابن خزيمة في صحيحه 390، و9317، 9537، 9908، والطيالسي في مسنده 2542، وابن أبي شيبة في مصنفه 2363 بلفظ: (...وَيُصَدِّقُهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ)، والهيثمي في موارد الظمآن 292، وابن الأعرابي في معجمه 954، والباغندي في الأمالي 52، والفاكهي في الفوائد 190، والدارقطني في العلل 1544، ورواه البيهقي في الكبرى 1872، والطبراني في الكبير 13469 عن ابن عمر، [و رواه البيهقي عن ابن عمر بلفظين أحدهما فيه: وَيُصَدِّقُهُ كُلُّ

رَطْبٍ وَيَابِسٍ، والثاني: وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ]، ورواه الروياني في مسنده 328 عن البراء بن عازب، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 6447 عن أبي سعيد الخدري، وصححه الألباني في سنن أبي داود، وفي صحيح الجامع 6644، وفي صحيح الترغيب 234 بلفظ: الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ وَيُصَدِّقُهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ من حديث أبي هريرة. وصححه شعيب الأرنؤوط بألفاظ أحمد الثلاث من حديث أبي هريرة أيضا فقال في الأولى والثالثة: صحيح بطرقه وشواهده، وفي الثانية: صحيح وهذا إسناد جيد، وجود إسناده في صحيح ابن حبان فقال: إسناده جيد] ومن حديث ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْمُؤَذِّنِ مَدَّ صَوْتِهِ وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ سَمِعَ صَوْتَهُ" [صحيح: رواه أحمد في المسند 6201 واللفظ له، والهيثمي في غاية المقصد في زوائد المسند 619/1 ولفظه: يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْمُؤَذِّنِ مُنْتَهَى أَذَانِهِ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ سَمِعَ صَوْتَهُ. ، وعبد الرزاق في مصنفه 1864 عن عطاء بن يسار موقوفا ولفظه: يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْمُؤَذِّنِ مَدَى صَوْتِهِ وَيُصَدِّقُهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ سَمِعَهُ، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند وقال: صحيح وهذا إسناد قوي]

فهذا كلام صريح في كون كل شيء يسمع المؤذن فهو حي حياة حقيقية، والدليل شهادة الكون من حول المؤذن له وإن لم نفهم كنه تلك الحياة ليس هذا فحسب بل إن كل شيء يسمع صوت المؤذن الذي يعلو بنداء الحق يصدقه على ما يقول أي يكبر ويهلل بتصديق المؤذن كما ثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: " إِنَّ الْمُؤَذِّنَ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ وَيُصَدِّقُهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ سَمِعَهُ وَالشَّاهِدُ عَلَيْهِ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ دَرَجَةً [صحيح: رواه أحمد في المسند 7600 واللفظ له، وعبد بن حميد في مسنده 1437، وعبد الرزاق في مصنفه 1863، وابن أبي حاتم في علل الحديث 555، وابن أبي شيبة في مصنفه 2363، ورواه البيهقي في الكبرى 1872 عن ابن عمر، وصحح شعيب الأرنؤوط رواية أبي هريرة في المسند فقال: صحيح بطرقه وشواهده وهذا إسناد قابل للتحسين، وحسنها الألباني في صحيح الجامع 1929، وصححها في صحيح الترغيب 234 وقال: حسن صحيح] ومن حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ وَالْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ بِمَدِّ صَوْتِهِ وَيُصَدِّقُهُ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ رَطْبٍ وَيَابِسٍ وَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّى مَعَهُ [صحيح: رواه النسائي في سننه 646 واللفظ له، وفي الكبرى 1610، وأحمد في المسند 18529، والطبراني في الأوسط 8198، وأبو الفضل الزهري في حديثه 396، وصححه الألباني في سنن النسائي، وفي الثمر المستطاب 162/1، وفي صحيح الجامع 1841، وصححه لغيره في صحيح الترغيب 235 وقال: رواه أحمد والنسائي بإسناد حسن جيد، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند وقال: حديث صحيح دون قوله: " وله مثل أجر من صلى معه ". وهذا إسناد ضعيف، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 134]

ليس هذا فحسب بل إن تلك المخلوقات على تنوعها إضافة لشهادتها للمؤذن وتصديقها إياه فهي تستغفر له كما ثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ وَشَاهِدُ الصَّلَاةِ يُكْتَبُ لَهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حَسَنَةً وَيُكَفَّرُ لَهُ مَا بَيْنَهُمَا [حسن صحيح: رواه ابن ماجة في سننه 724 واللفظ له، والكناني في مصباح الزجاجة 271 عن أبي هريرة، ورواه عن ابن عمر أحمد في المسند 6202، والهيثمي في غاية المقصد 619/1، وفي مجمع الزوائد 1828 ولفظهما: يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْمُؤَذِّنِ مُنْتَهَى أَذَانِهِ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ سَمِعَ صَوْتَهُ. ، والديلمي في الفردوس 8843 ولفظه: يغفر للمؤذن منتهى صوته ولا يسمع صوته رطب ولا يابس إلا جاء يوم القيامة يشهد له، وصححه الألباني في سنن ابن ماجة، وفي صحيح الترغيب تحت حديث 234 عن أبي هريرة، وقال: حسن صحيح، وصححه في صحيح الترغيب تحت حديث 233 عن ابن عمر بلفظ أحمد وقال: صحيح: رواه أحمد بإسناد صحيح والطبراني في الكبير]

وعليه فمخلوقات متنوعة من شجر وحجر ورطب ويابس بل فضلا عن الجن والإنس تسمع الأصوات من حولها بل وتميز طيبها من سقيمها، وتشهد شهادة الحق على المؤذن وتصدقه وتستغفر له لهي مخلوقات حية وإن بدا بعضها جمادا صلدا لا حركة فيه ولا روح فيه، ولقد آمن النبي ﷺ بذلك وحث الصحابة على الإيمان به والتفاعل مع تلك الكائنات الحية العابدة كما ثبت من حديث الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﵁ قَالَ لَهُ إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [صحيح: رواه البخاري، كتاب الأذان، باب: رفع الصوت بالنداء 584، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الجن وثوابهم وعقابهم 3122، كتاب التوحيد، باب: قول النبي ﷺ (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة) 7109] وفي رواية عنه ﵁ قال إِذَا كُنْتَ فِي الْبَوَادِي فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالْأَذَانِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَا يَسْمَعُهُ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ [صحيح: رواه ابن ماجة 723 واللفظ له، والكناني في مصباح الزجاجة 270، وأبو يعلى في مسنده 982، وأحمد في المسند 11045، والحميدي في مسنده 732، وعبد بن حميد 997، وعبد الرزاق في مصنفه 1865، والبيهقي في معرفة السنن والآثار 2506، والشافعي في السنن المأثورة 207/1 رقم 143، وابن خزيمة في صحيحه 207/1، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 6770، وصححه الألباني في سنن ابن ماجة، وحسين سليم أسد في مسند أبي يعلى وقال: إسناده صحيح، و شعيب الأرنؤوط في المسند وقال: إسناده صحيح على شرط البخاري] وهذا يعني أن كل رطب ويابس يسمع المؤذن يتوقف مؤقتا عن التسبيح

ليستغفر للمؤذن حتى ينتهي من أذانه ثم يعود للتسبيح من جديد وهذا فعل العاقل الحي المدرك لما يفعل لا فعل الأموات.

ومن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسى يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ؛ فَقَالُوا وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلاَّ أَنَّهُ آدَرُ، فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَخَرَجَ مُوسى فِي إِثْرِهِ يَقُولُ ثَوْبِي يَا حَجَرُ حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسى، فَقَالُوا وَاللهِ مَا بِمُوسى مِنْ بَأْسٍ؛ وَأَخَذَ ثَوْبَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللهِ إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالْحَجَرِ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ ضَرْبًا بِالْحَجَرِ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب الحيض، باب: جواز الاغتسال عريانًا في الخلوة 194] ففي قصة الحجر مع نبي الله موسى عليه السلام وضربه الحجر ومعاملته معاملة العاقل الذي يحاسب على تصرفاته لهو خير شاهد ودليل على حياة الحجارة ولو تأملنا ألفاظ الحديث لظهر الأمر جليا:

فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ فأثبت للحجر ما للإنسان من صفة الفرار بالشيء،

ثَوْبِي يَا حَجَرُ فأثبت بندائه الحجر أنه كائن حي يسمع ويعقل ويعي ما يفعل ويتحكم في تصرفاته، وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا فأثبت أن تصرف الحجر كان محض خطأ فاستحق العقاب لذلك وهذا خير برهان على أن الحجر كائن حي، فإذا ضممنا لتلك القصة تسليم الحجارة على النبي وشهادتها على المؤذن وتصديقها إياه وتلبيتها مع تلبية الحاج والمعتمر وهبوطها من خشية الله وإشفاقها من

يوم الجمعة أن تقوم الساعة فيه وانفعالها غضبا لله استبان ووضح بما لا يدع مجالا للشك أن الكون كله كائن حي.

أما قصة بكاء الجذع وما أدراك ما الجذع؟

ولعل سائل يسأل متعجبا: أو تبكي الأشجار أيضا؟ ونقول: جذع النخلة يحن ويئن ويبكي ويصيح ويخور لفراق النبي ﷺ والذكر لأنه كائن حي له ما للأحياء من مشاعر وأحاسيس وانفعالات محسوسة ملموسة لما ثبت من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَحَنَّ الْجِذْعُ حَتَّى أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [صحيح: رواه أحمد في المسند 2400 واللفظ له، وأبو يعلى في مسنده 3384، وعبد بن حميد في مسنده 1336، كلهم عن أنس ﷺ، ورواه أحمد 3430، 2236، والدارمي 39، 1563، وابن

ماجة 1415، والطبراني في الكبير 12841، وابن أبي شيبة 32405 كلهم عن ابن عباس م، ورواه أحمد 14321، وابن ماجة 1417، كليهما عن جابرﷺ، ورواه ابن ماجة 1415 عن أنس وابن عباس م وصححه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجة 1162، والصحيحة 2174، وفي بداية السول في تفضيل الرسول) للعز بن عبد السلام، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة 1406هـ] وأصله عند البخاري مختصرا من حديث ابْن عمرﷺ كَانَ النَّبِي ﷺ ◌ يخْطب إِلَى جذع فَلَمَّا اتخذ الْمِنْبَر تحول إِلَيْهِ فحن الْجذع فَأَتَاهُ فَمسح يَده عَلَيْهِ)[صحيح: رواه البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام 3390]

فما نوع هذا الحنين يا ترى؟ نستل لكم الجواب مما ثبت من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى خَشَبَةٍ فَلَمَّا جُعِلَ مِنْبَرٌ حَنَّتْ حَنِينَ النَّاقَةِ إِلَى وَلَدِهَا فَأَتَاهَا فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ [إسناده صحيح: رواه أحمد في المسند 14151 واللفظ له، وأبو يعلى في مسنده 2177 وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير سعيد بن أبي كرب فقد روى له ابن ماجة، وصححه الألباني في صحيح الترمذي 2867، عن أنس ﷺ بلفظ (حنين الناقة)، وفي سنن النسائي 1396عن جابرﷺ بلفظ (كحنين الناقة)] ليس هذا فحسب بل كان الحنين كحنين الولد أو الوالد لما ثبت من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْم الجمُعَة إِلَى جَنْبِ خَشَبَةٍ يَسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرَ النَّاسُ قَالَ: (ابْنُوا لي مِنْبَرًا) فَبَنوا لَهُ مِنْبَرًا لَهُ عَتَبَتَانِ، فَلَمَّا قَامَ عَلَى المنْبَرِ لِيَخْطُب حَنَّتِ الخشَبَة إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ أَنَس: وَأَنَا فِي المسْجِدِ فَسَمِعْتُ الخشَبَةَ حَنَّتْ حَنِين الوَلَد فَمَا زَالَتْ تحِنُّ حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحْتَضَنَهَا فَسَكَنَتْ. قَالَ: وَكَانَ الحسَنُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الحدِيثِ بَكَى ثُمَّ قَالَ: يَا عِبَادَ اللهِ الخشَبَةُ تحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ شَوْقًا إِلَيْهِ لمكَانِهِ مِنَ اللهِ فَأَنْتُمْ أَحَقّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ [صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه 6507 واللفظ له وصححه شعيب الأرنؤوط، ورواه أحمد في المسند 13387 بلفظ (حنين الوالد) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن] ومن حديث جابر ﷺ موقوفا عليه قال: حَنَّتِ الْخَشَبَةُ، حَنِينَ النَّاقَةِ الْخَلُوجِ. [صحيح: رواه الدارمي في سننه 35 وصحح إسناده حسين سليم أسد، وأبو يعلى في مسنده 1068 بلفظ: (فَحَنَّتِ الْخَشَبَةُ، حَنِينَ النَّاقَةِ الْحَلُوبِ) وحسن إسناده حسين سليم أسد]

قال ابن الجوزي في (غريب الحديث): النَّاقَةِ الخَلُوج: وهي الَّتِي اختُلِجَ وَلَدُهَا أي انْتُزِعَ مِنْهَا [غريب الحديث لابن الجوزي - (ج 1 / ص 295) تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1985م، وانظر الفائق في غريب الحديث و الأثر - (ج 1 / ص 390) للزمخشري، دار المعرفة – لبنان، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية]



وظل الجذع في حنينه حتى زاد حزنه فصاح فتحول من حال إلى حال فلما ضمه النبي ﷺ إليه بدأ يهدأ شيئا فشيئا حتى انتهى إلى الأنين وهو صوت أعلى من الحنين كما ثبت من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ إِنْ شِئْتُمْ فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ..) [صحيح: رواه البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام 3391، وكتاب البيوع، باب: النجار 1989]

قال في (المزهر في علوم اللغة):

إذا أَخرجَ المكْرُوب أو المريضُ صَوْتاً رَقِيقاً فهو الرَّنِينُ، فإنْ أَخْفَاهُ فَهُوَ الهَنِينُ، فإذا أَظْهَرَهُ فَخَرَجَ خَافياً فَهُوَ الحَنِينُ، فإنْ زَادَ فِيهِ فَهُوَ الأَنِينُ

[المزهر في علوم اللغة – (ج 1 / ص 46) للسيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1998م]

وكان الجذع يتحول من حال إلى أخرى فتارة يسمع له صوت الحنين وتارة صوت الصياح وتارة يسكن إلى درجة أعلى من الحنين وهو صوت الأنين وتارة يكون صوته كالناقة العشار كما ثبت من حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ [صحيح: كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام 3392]

وتارة يكون صوته كخوار الثور كما ثبت من حديث الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرُبُ إِلَى جِذْعٍ إِذْ كَانَ الْمَسْجِدُ عَرِيشًا وَكَانَ يَخْطُبُ إِلَى ذَلِكَ الْجِذْعِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا تَقُومُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَرَاكَ النَّاسُ وَتُسْمِعَهُمْ خُطْبَتَكَ قَالَ نَعَمْ فَصُنِعَ لَهُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ اللَّاتِي عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمَّا صُنِعَ الْمِنْبَرُ وَوُضِعَ فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي وَضَعَهُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ الْمِنْبَرَ مَرَّ عَلَيْهِ فَلَمَّا جَاوَزَهُ خَارَ الْجِذْعُ حَتَّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ حَتَّى سَكَنَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمِنْبَرِ وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَّى إِلَيْهِ (فلما هدم المسجد وغير أخذ ذاك الجذع أبي بن كعب فكان عنده حتى بلى وأكلته الأرضة وعاد رفاتا) [صحيح لغيره: رواه أحمد في المسند 21285 واللفظ له وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره دون قصة أخذ أبي بن كعب للجذع، والدارمي في سننه 36 وحسنه حسين سليم أسد بزيادة أخذ أبي للجذع فقال: إسناده حسن من أجل عبد الله بن محمد بن عقيل، ورواه ابن ماجة في سننه 1414 وحسنه الألباني بالزيادة]



إلا أنه وقع في رواية أنس بْنُ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى جِذْعٍ مَنْصُوبٍ فِي الْمَسْجِدِ فَيَخْطُبُ النَّاسَ فَجَاءَهُ رُومِيٌّ فَقَالَ أَلَا أَصْنَعُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ وَكَأَنَّكَ قَائِمٌ فَصَنَعَ لَهُ مِنْبَرًا لَهُ دَرَجَتَانِ وَيَقْعُدُ عَلَى الثَّالِثَةِ فَلَمَّا قَعَدَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْبَرِ خَارَ الْجِذْعُ كَخُوَارِ الثَّوْرِ حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْمِنْبَرِ فَالْتَزَمَهُ وَهُوَ يَخُورُ فَلَمَّا الْتَزَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَكَنَ ثُمَّ قَالَ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمَا زَالَ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدُفِنَ [إسناده صحيح: رواه الدارمي في سننه 41 واللفظ له، وابن خزيمة في صحيحه 1777، وصحح إسناده حسين سليم أسد، وقال الألباني في الصحيحة 2174: إسناده جيد]

والسؤال الآن: لماذا حَنَّ الجذْعُ وبَكَى وَصَاحَ وَخَارَ وَتَصَدَّعَ؟

والجواب أن تصرفها كان له عدة أسباب نستل أولها من الحديث الذي تقدم معنا عن جابر بن عبد الله ﷺ قال (...فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ قَالَ كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ الذِّكْرِ عِنْدَهَا

[صحيح: رواه البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام 3391، وكتاب البيوع، باب: النجار 1989]

إذن فالسبب الأول هو حنينها إلى ما كانت تسمع من الذكر عندها

والسبب الثاني نستله مما ثبت من حديث أنس بْنُ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى جِذْعٍ مَنْصُوبٍ فِي الْمَسْجِدِ فَيَخْطُبُ النَّاسَ فَجَاءَهُ رُومِيٌّ فَقَالَ أَلَا أَصْنَعُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ وَكَأَنَّكَ قَائِمٌ فَصَنَعَ لَهُ مِنْبَرًا لَهُ دَرَجَتَانِ وَيَقْعُدُ عَلَى الثَّالِثَةِ فَلَمَّا قَعَدَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْبَرِ خَارَ الْجِذْعُ كَخُوَارِ الثَّوْرِ حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْمِنْبَرِ فَالْتَزَمَهُ وَهُوَ يَخُورُ فَلَمَّا الْتَزَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَكَنَ ثُمَّ قَالَ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمَا زَالَ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدُفِنَ [إسناده صحيح: رواه الدارمي في سننه 41 واللفظ له، وابن خزيمة في صحيحه 1777 وصحح إسناده حسين سليم أسد، وجود الألباني إسناده في الصحيحة 2174 على شرط مسلم]

إذن فالسبب الثاني حزنها على رسول الله ﷺ وعليه فيكون الجذع قد حن وصاح وجن جنونه حنينًا للذكر والذَّاكر؛ فأمَّا حنينه – الجذع – لما فقد من الذكر فلأنه كائن حي عابد لله مسبح وساجد وعابد على طريقته، فمن الطبيعي أنه يحب الذكر لأنه من أهله، وأما حزنه وحنينه لفراق الذاكر فلأن الذي حب الذكر يحب أهل الذكر وعليه فهو يحب من يذكر وبجواره ويسمعه الخير، بل وينصت إليه وينفعل معه وهذا عام لكل ذاكر فكيف لو كان الذاكر عليه أو عنده هو رسول الله ﷺ خير خلق الله وسيد ولد آدم أجمعين

وخليل الرحمن؟ ويلاحظ أن الجذع كان في حالة اضطراب شديدة بدليل أنه حاول لفت انتباه النبي ﷺ إليه بشتى الطرق فبدأ بالحنين فحن حنين الناقة ثم بكى وأن أنين الصبي وخار كالثور وتصدع وتشقق وكل هذا لما فقده من شرف جلوس النبي ﷺ إليه والحديث عنده فمجرد أن شعر أن النبي لن يخطب إليه فعل تلك الأفاعيل حرقة على ما فقد من الذكر وشوقا ولهفة لفراق الذاكر ﷺ وتأمل كيف تأثر الحسن بهذا الموقف العظيم فكان رضي الله عنه كما ثبت من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه (...قَالَ: وَكَانَ الحسَنُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الحدِيثِ بَكَى ثُمَّ قَالَ: يَا عِبَادَ اللهِ الخشَبَةُ تحِنُّ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ شَوْقًا إِلَيْهِ لمكَانِهِ مِنَ اللهِ فَأَنْتُمْ أَحَقّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلى لِقَائِهِ [صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه 6507 واللفظ له وصححه شعيب الأرنؤوط، ورواه أحمد في المسند 13387 بلفظ (حنين الوالد) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن] فهل يكون الشوق والحنين إلا من حي؟

ومنها حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه قَالَ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ قَالَ فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ فَجَاءَ فَتًى مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ [صحيح: رواه أبو داود 2549 واللفظ له، وأحمد في المسند 1745، 1754 وأبو يعلى في مسنده 6787، والبيهقي في الكبرى 15592، والحاكم في المستدرك 2485، وابن أبي شيبة في مصنفه 31756 وصححه الألباني رحمه الله وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الحاكم والذهبي والضياء. وأخرج مسلم أوله، وانظر صحيح الترغيب 2269]

ومنها حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ إِلَى أَهْلِي قَالَ هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَالَ وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ قَالَ هَذِهِ السَّلَمَةُ فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا فَشَهِدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ إِنْ اتَّبَعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ وَإِلَّا رَجَعْتُ مَكَثْتُ مَعَكَ [صحيح: رواه الدارمي في سننه 16 واللفظ له، وابن حبان في صحيحه 6505، وأبو يعلى في مسنده 5662، والطبراني في الكبير 13582، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة 6476، وصححه حسين سليم أسد في سنن الدارمي، وحسنه في مسند أبي يعلى، وصححه الألباني في المشكاة 5925، وقال شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان: رجاله ثقات]

حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ قَالَ إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنْ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ ارْجِعْ فَعَادَ فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ [صحيح: رواه الترمذي في سننه 3628 واللفظ له، والحاكم في المستدرك 4237، والطبراني في الأوسط 5068، وفي الكبير 12622، والضياء في المختارة 527، والاعتقاد للبيهقي 48/1، وصححه الألباني رحمه الله في سنن الترمذي، وفي مشكاة المصابيح 5926]

قال المباركفوري رحمه الله: العِذْق) بكسر العين المهملة هو العرجون بما فيه من الشماريخ وهو للنخل كالعنقود للعنب [تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (ج 10 / ص 71) لمحمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية – بيروت]

ومنها حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْهُ، قَالَ: فَصَعِدَ الذِّئْبُ عَلَى تَلٍّ، فَأَقْعَى وَاسْتَقَرَّ، وَقَالَ: عَمَدْتُ إِلَى رِزْقٍ رَزَقَنِيهِ اللَّهُ أَخَذْتُهُ، ثُمَّ انْتَزَعْتَهُ مِنِّي؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: تَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ الذِّئْبُ: أَعْجَبُ مِنْ هَذَا رَجُلٌ فِي النَّخَلاتِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ يُخْبِرُكُمْ بِمَا مَضَى وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ، قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَهُودِيًّا، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ وَأَسْلَمَ، فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهَا أَمَارَاتٌ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ، فَلا يَرْجِعَ حَتَّى يُحَدِّثَهُ نَعْلاهُ وَسَوْطُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ [صحيح: رواه البغوي في شرح السنة 4282 واللفظ له، وأحمد في المسند 8049، والهيثمي في غاية المقصد في زوائد المسند 1066/2، وأبو سعيد النقاش في فنون العجائب 9، 14، و إسحاق بن راهويه في مسنده 360، وعبد الرزاق في مصنفه 20808 وصححه الألباني في مشكاة المصابيح 5927] وفي رواية أخرى من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ قَالَ أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَقَالَ يَا عَجَبِي ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْإِنْسِ فَقَالَ الذِّئْبُ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَب مِنْ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِيَثْرِب يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ قَالَ فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَزَوَاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنُودِيَ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ لِلرَّاعِي أَخْبِرْهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدَقَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ [إسناده صحيح: رواه أحمد في المسند 11809، 11859 واللفظ له، والهيثمي في غاية المقصد في زوائد المسند 1063/2، 1064/2، 1065/2، والحاكم في المستدرك 8444، وابن حبان في صحيحه 6494، والهيثمي في موارد الطمأن 2109، وعبد بن حميد في مسنده 877، وفي المنتخب من مسنده 875، وأبو سعيد النقاش في فنون العجائب 15، والطبراني في مسند الشاميين 2944، والطحاوي في شرح مشكل الآثار



6178 كلهم عن أبي سعيد الخدري، ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة 885 عن أهبان بن أوس الأسلمي، ويعرف بمكلم الذئب وقيل: إن مكلم الذئب، أهبان بن عياذ الخزاعي، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان على شرط مسلم، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة 122، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 406]

وفي هذا يقول النبي ﷺ كما ثبت من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا عَاصِيَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) [صحيح لغيره: رواه أحمد 14372 واللفظ له، والهيثمي في غاية المقصد في زوائد المسند 1184/2، وفي مجمع الزوائد 14164، والدارمي 18، وعبد بن حميد في مسنده 1122، وابن أبي شيبة في مصنفه 32377، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة 6344 ولفظه: إِنَّهُ لَيسَ شَيءٌ بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ غَيْرُ عُصَاةِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، وصححه شعيب الأرنؤوط لغيره وقال: صحيح لغيره وهذا إسناد حسن، وحسنه الألباني في صحيح الجامع 2409، وفي الصحيحة 1718، وجود إسناده حسين سليم أسد في سنن الدارمي]

ومن حديث يعلى بن مرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا كَفَرَةُ أَوْ فَسَقَةُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ [صحيح: رواه الطبراني في الكبير 672، وفي الأحاديث الطوال 54، والهيثمي في مجمع الزوائد 14159، والبيهقي في دلائل النبوة 22/6، 23، وصححه الألباني في الصحيحة 3311 بطرقه وشاهده] ولعل هذا يفسر تسليم الحجر بمكة على النبي ﷺ قبل البعثة

كما تقدم معنا من حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ » [صحيح: رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي وتسليم الحجر عليه 6078] وثبت من حديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّة، فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا، فَمَا اسْتَقْبَلَهُ جبَل وَ لَا شَجَر إِلَّا وَ هُوَ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله " [صحيح: رواه الترمذي 3626 في سننه واللفظ له، والدارمي 21، والحاكم 4238، وأبو الشيخ في العظمة 116713، والفاكهي في أخبار مكة 2097، والضياء في المختارة 502، وأبو نعيم في دلائل النبوة 289، وصححه الألباني في الصحيحة 2670، وفي صحيح السيرة النبوية 95/1، وصححه لغيره في صحيح الترغيب 1209] وفي رواية عنه رضي الله عنه قال: " خَرَجْتُ مَعَ النَّبِي ﷺ فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ عَلَى حَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ" [صحيح: رواه الطبراني في الأوسط 5431، والهيثمي في مجمع الزوائد 13956، وابن المقرئ في معجمه 114 ولفظه: فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ عَلَى حَجَرٍ وَلَا عَلَى شَجَرٍ وَلَا عَلَى شَيْءٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ، وصححه الألباني إسناده في الصحيحة تحت حديث 2670 وانظر صحيح السيرة النبوية للألباني – (ج 1



/ ص 95) بلفظ: لقد رأيتني أدخل معه الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمعه)، المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن، الطبعة الأولى]

فمن أي جزء تكلم الحجر وسلم على النبي ﷺ بل وكيف علم أنه سيكون نبي فخصه بالسلام قبل البعثة؟ إن هذا لا يتأتى إلا إذا ركبت فيه أدوات للفهم والإدراك لا نعلمها ولا نراها فنحن لا نعلم كل شيء وما خفي عن الإنسان أكثر بكثير مما علم حتى الآن.. ولقد كان الصحابة يرون ذلك ويسمعون مخاطبة الكائنات الجامدة في الظاهر ولا يستنكرون من ذلك شيئا.

وبهذا يثبت أن مخاطبة الحيوانات العجم للإنسان ليست معجزة قاصرة على رسول الله ﷺ كما ثبت من مخاطبة الذئب للرجل في حديث ومخاطبة البقرة والذئب لغيره في حديث آخر، ولكن المعجزة في معرفة المخلوقات على تنوعها بنبوة محمد ﷺ ومن ثم الإيمان به وتوقيره بل والدعوة إلى دينه والدلالة عليه.

وكما خاطب القرآن الأشياء الجامدة في ظاهرها بما خاطب به الأحياء العقلاء، فكذلك فعل النبي ﷺ فمن حديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ [صحيح: رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلاً 3472، ورواه أيضا في باب: مناقب عمر بن الخطاب 3483، باب مناقب عثمان بن عفان 3496 بألفاظ قريبة منه]

وهذا حراء أيضا يشارك أحد في محبته للنبي ﷺ فيرتجف هو الآخر لصعوده عليه كما ثبت من حديث عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ م: أن رسول الله ﷺ كَانَ جَالِسًا عَلَى حِرَاءٍ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، رَضِي اللَّه عَنْهِمْ، فَتَحَرَّكَ الْجَبَلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اثْبُتْ حِرَاءُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ. [صحيح: رواه أحمد في المسند 22986، وفي فضائل الصحابة 867، والهيثمي في غاية المقصد في زوائد المسند 1310/2، وفي مجمع الزوائد 14373 وقال: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)، وعبد الله بن أحمد في فضائل عثمان بن عفان 165، وابن أبي عاصم في كتاب السنة 1443، وابن سمعون في أماليه 78، وصححه الألباني في صحيح الجامع 132، وفي الصحيحة 875، وقوى شعيب الأرنؤوط إسناده في المسند، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 145] وأصله عند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ ». [صحيح: رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل طلحة والزبير 6400] وفي رواية عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى جَبَلِ حِرَاءٍ فَتَحَرَّكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « اسْكُنْ حِرَاءُ فَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ ». وَعَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضى الله عنهم. [صحيح: رواه مسلم،

كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل طلحة والزبير 6401] فهذا جبل في ظاهره أصم لا يعقل ولا حياة فيه لكن حقيقة الأمر عكس ذلك فهو على الحقيقة كائن حي يسمع ويرى ويشعر بما ومن حوله يعرف من الذي خلقه ولماذا خلقه ويعرف رسول ربه وصحابته الكرام فلما صعدوا عليه لم يتمالك نفسه ولم يستطع إخفاء مشاعره تجاه رسول الله فاهتز وارتجف، وهذا رسول الله يتعامل معه على حقيقته التي يجهلها كثير من الناس وهي أنه كائن حي فكلمه رسول الله كلام العقلاء: اثبت حراء.. وبمثله خاطب جبل أحد من قبل. وقد صرح النبي بمحبة جبل أحد له وللمؤمنين كما ثبت من حديث أبي حميدﷺ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: هذِهِ طَابَةُ وَهذَا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب الحج، باب: أحد جبل يحبنا ونحبه 880، وفي كتاب الفضائل، باب: في معجزات النبي ﷺ 1469 عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ بلفظ: هذَا جُبَيْلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، وكتاب الحج، باب: فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة 864 عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ] فهذا جبل أصم يحب رسول الله ويحبه رسول الله فمحبة النبي ﷺ من علامات محبة الله فهل يكون الحب والشوق إلا من حي؟

قال الإمام مجاهد وغيره:

ويجوز أن يخلق الله تعالى العقل والحياة في الحجر وظواهر الآيات ناطقة بذلك [روح المعاني للألوسي (ج 1 / ص 297) دار إحياء التراث العربي – بيروت]

ومن حديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَكَّةَ مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ [صحيح: رواه الترمذي في سننه 3926 واللفظ له، والطبراني في الكبير 10624، 10633، وابن حبان في صحيحه 3709، والهيثمي موارد الظمآن 1026، وفي بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث 387، وأبي يعلى في مسنده 2662، والبزار في مسنده 4690، 5095، والضياء في المختارة 217، 218، والحاكم في المستدرك 1787، وصححه الألباني في سنن الترمذي، وفي صحيح الجامع 5536، وفي المشكاة 2724، وصححه شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان، و قال حسين سليم أسد في مسند أبي يعلى: رجاله رجال الصحيح خلا محمود بن خداش وهو ثقة]

ومن حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ ابْنِ حَمْرَاءَ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَةِ فَقَالَ وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَاهُ يُونُسُ عَنْ نَحْوَهُ وَرَوَاهُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَحَدِيثُ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ ابْنِ حَمْرَاءَ عِنْدِي أَصَحُّ [صحيح: رواه الترمذي في سننه 3925 واللفظ له وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَاهُ يُونُسُ عَنْ نَحْوَهُ وَرَوَاهُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَحَدِيثُ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ ابْنِ حَمْرَاءَ عِنْدِي أَصَحُّ، ورواه ابن ماجة في سننه

3108، والدارمي في سننه 2510، وابن حبان في صحيحه 3708، والهيثمي في موارد الظمآن 1025، وأحمد في المسند 18737، 18738، 18740، والحاكم في المستدرك 4170، 5220، 5827، والطبراني في الأوسط 454، وفي مسند الشاميين 3034، والنسائي في الكبرى 4252، 4253، وابن أبي شيبة في مسنده 678، وعبد بن حميد في مسنده 491، وعبد الرزاق في مصنفه 8868، والفاكهي في أخبار مكة 2444، وأبو نعيم في معرفة الصحابة 4378، وابن قانع في معجم الصحابة 545، 660، والشيباني في الآحاد والمثاني 621، 622، وابن الأثير في أسد الغابة 848، والحديث رواه ابن أبي حاتم في العلل 830 عن أبي هريرة وقال: وسألتُ أبِي، وأبا زُرعة، عَن حدِيثٍ؛ رواهُ مُحمّدُ بنُ عَمرٍو، عن أبِي سلمة، عن أبِي هُريرة، أنَّ النّبِيّ ﷺ خطب بِالحزورةِ، فقال: إنّكِ أحبُّ أرضِ اللهِ إليّ، ولولا أنِّي أُخرِجتُ ما خرجتُ مِنهُ. فقالا: هذا خطأٌ، وهِم فِيهِ مُحمّدُ بنُ عمرٍو. ورواهُ الزُّهرِيُّ، عن أبِي سلمة، عن عَبدِ اللهِ بنِ عدِيِّ بنِ الحمراءِ، عنِ النّبِيِّ ﷺ، وهُو الصّحِيحُ. وصححه الألباني في سنن الترمذي وابن ماجة، وفي صحيح الجامع 7089، وفي المشكاة 2725، وصححه شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه في المسند بروايته الثلاث فقال في الأولى والثانية: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن صحابيه روى له أصحاب السنن سوى أبي داود، وقال في الثالثة: حديث صحيح وهذا إسناد وهم فيه معمر. (ولأن ثبوت الحديث عن أبي هريرة فيه نظر لذا أعرضنا عن ذكر تخريج رواية أبي هريرة)] فخاطبها خطاب الحي للحي

والسنة زاخرة كما تسمع بالأحاديث الدالة على أن كل ما حولنا حي على طريقته، ويدرك ويسمع ويبصر بكيف لا نفهمه. والسنة لا تزال ملآنة بالأحاديث المبهرة والتي تشد بعضها بعضا لتشكل نسيجا واحدا أو منظومة متكاملة تشمل الكون كله والعالم العلوي والسفلي تنطق بوحدانية الله وتعلنها صراحة: نحن نسبح إذن نحن أحياء..

أنت الآن بالطبع صرت مؤمنا بأن الكون كله من الذرة للمجرة بل من الذرة للعرش كائن حي ومنظومة متكاملة تبض بالحياة والتسبيح لله العظيم ولكنك فقط تريد المزيد من أدلة السنة لتتعرف أكثر على ما تفعله الكائنات من حولك وما تقوله العوالم الأخرى وأنت لا تسمعه حتى تشعر بانسجام وأنت تعيش وسط هذا الزخم الهائل من الأحياء على تنوع صورها وأشكالها.

ومن تلك الأدلة أيضا: حديث أبي سعيد ﷺ قال قال ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ [إسناده صحيح: رواه أحمد في المسند 11809، 11859 واللفظ له، والهيثمي في غاية المقصد في زوائد المسند 1063/2، 1064/2، 1065/2، والحاكم في المستدرك 8444، وابن حبان في صحيحه 6494، والهيثمي في

موارد الطمآن 2109، وعبد بن حميد في مسنده 877، وفي المنتخب من مسنده 875، وأبو سعيد النقاش في فنون العجائب 15، والطبراني في مسند الشاميين 2944، والطحاوي في شرح مشكل الآثار 6178 كلهم عن أبي سعيد الخدري، ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة 885 عن أهبان بن أوس الأسلمي، ويعرف بمكلم الذئب وقيل: إن مكلم الذئب، أهبان بن عياذ الخزاعي، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان على شرط مسلم، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة 122، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 406]

والمقصود حتى تكلم السباع الإنس بكلام يفهمه البشر والحديث لم ينص على تكليم السباع لجنس العرب وإنما قال الإنس وهذا يعني أن السباع قد تتكلم بالعربية مع العرب وبالإنجليزية مع أهل تلك اللغة وهكذا، وإن كانوا أصلا يتكلمون أمام البشر منذ خلقهم الله ولكن لا يفهم البشر لغتهم كما أن كل شيء من الذرة إلى المجرة يسبح ولكن لا نفهم تسبيحهم كما أخبر الله { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} الإسراء: 44 وهذا النوع من الكلام (كلام السباع للإنس) قد حدث مع رجل يهودي زمان النبي ﷺ كما تقدم معا في الحديث نفسه عنه قَالَ عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ قَالَ أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَقَالَ يَا عَجَبِي ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْإِنْسِ فَقَالَ الذِّئْبُ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِيَثْرِبَ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ قَالَ فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَزَوَاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنُودِيَ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ لِلرَّاعِي أَخْبِرْهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدَقَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ.. الخ [صحيح: تقدم تخريجه]

أما تكليم عذبة السوط وشراك النعل للرجل فضلا عن كلام الفخذ فهذا من جنس الأمور غير المألوفة ولئن ثبت معنا تكليمها للإنس فإثبات تسبيحها أولى وأولى.

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ: مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ قَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلاَدُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في مستريح ومستراح منه 554] وكون الكائنات المذكورة تستريح من أذي الفاجر بموته فهي تتألم وتعاني منه في حياته وليس ذلك إلا لكونها كائنات حية لها أحاسيس ومشاعر وتتأذى مما يتأذى منه الإنسان.

وعند مسلم من حديث أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ « مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِى يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِى لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ ». [صحيح: رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: استحباب صلاة

النافلة في بيته...1859] وهنا شبه رسول الله ﷺ البيت الذي هو عند الناس جماد لا حياة فيه بأنه حي لو ذكر الله فيه، وفي حديث آخر أمرنا بأن نجعل في بيوتنا من صلاتنا وألا نجعلها كالقبور أي خراب في ظاهر أمرها وكأن البيت الذي لا يذكر الله فيه كأنه بلا روح كمثل الحي إذا خرجت روحه مات فيما يبدو للناس فمن حديث ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلاَتِكُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد 445]

و من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلاً لَعَنَ الرِّيحَ – وَقَالَ مُسْلِمٌ إِنَّ رَجُلاً نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَعَنَهَا – فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « لاَ تَلْعَنْهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ ». [صحيح: رواه أبو داود في سننه 4908 واللفظ له، والترمذي 1978، والطبراني في الصغير 957، وفي الكبير 12757، والسيوطي في الجامع الكبير 18557/1، والبيهقي في شعب الإيمان 5235، وابن حبان في صحيحه 5745، والبزار في مسنده 5330، وأبو نعيم في معرفة الصحابة 1006، وأبو الشيخ في العظمة 1315/4، والضياء في المختارة 82/4 وما بعدها، وصححه الألباني، وصححه في مشكاة المصابيح 1517، 4851، وفي صحيح الجامع 7447، وفي صحيح الترغيب 2800، وفي الصحيحة 528]

وعن عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ [صحيح: رواه الترمذي في سننه 3366 واللفظ له، والحاكم في المستدرك 3989، وأبو الشيخ في العظمة 67765، والنسائي في الكبرى 10137، 10138، وفي عمل اليوم والليلة 305، 306، وأحمد في المسند 24368، 25844، 26042، 26189، وأبو يعلى في مسنده 4440، والطيالسي في مسنده 1486، وعبد بن حميد في مسنده 1517، وابن منده في التوحيد 31، والطحاوي في شرح مشكل الآثار 26/5، والبيهقي في الدعوات الكبير 314، وابن السني في عمل اليوم والليلة 648، وصححه الألباني في سنن الترمذي، وفي صحيح الجامع 7916، وفي الصحيحة 372، وحسنه شعيب الأرنؤوط في المسند برواياته الأربع، وحسنه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين 1611]

ولقد كان النبي ﷺ يعلم تمام العلم أن الكون كله كائن حي من العرش إلى الفرش فقد خلق الله الكل لعبادته، فما خلق العرش ولا السموات والأرضين بما فيهن إلا لذلك كل ما هنالك أنه عبّد بعض المخلوقات له عبادة تسخير كالشمس والقمر في حين عبّد غيرها كإنس والجن عبادة تكليف مرتبط بالأمر والنهي.. افعل ولا تفعل، المهم أن الكل مقهور لله شاء أو أبى، لذا كان حال النبي ﷺ في تعامله مع مخلوقات الله على تنوعها هو حال العالم بهذه الحقائق تمام العلم.. نعم فالعرش كائنٌ حيٌ كغيره من المخلوقات، يُسبّح الله

بكيف لا نفهمه، ولا نفقهه...وما نعتقده جمادات فليس بجماد؛ فإنّ الحصى، والجبال، والشّجر، كلّ هذا يعبد، ويسجد، ويُسبّح، بنصّ القرآن { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ.. }الحج: 18

عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ فَسَجَدْتُ فَسَجَدَتْ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ قَالَ الْحَسَنُ قَالَ لِيَ ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ لِي جَدُّكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ سَجْدَةً ثُمَّ سَجَدَ قَالَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ م فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ [إسناده صحيح: رواه الترمذي 579، 3424 واللفظ له، وابن ماجة 1053، وابن خزيمة في صحيحه 562، وابن حبان في صحيحه 2768، والطبراني في الكبير 11262 وصحح الأعظمي إسناده وحسنه الألباني] فكيف عرفت الشجرة نبي الله داود عليه السلام ومن أي جزء تكلمت وهل للأشجار روح مثل الحيوان وإنسان؟ العجيب أن النبي ﷺ لم ينكر فعل الشجرة لأن الشواهد وأدلة من القرآن والسنة تؤكد أن ذلك حق لا ريب فيه، ولكنه أنكر على أبي سعيد رضي الله عنه عدم سجوده وهو أحق بذلك منها لأنه هو المكلف بذلك صراحة لأن القرآن إنما نزل على المسلمين لاسيما سورة السجدة (ص)

فلمّا كان الكون كائن حي يعبد إلهاً واحداً، ويُسبّح إلهاً واحداً.. كان هُناك نوع من الألفة، والمحبّة، تتولّد بين عُبّاد الله وبعضهم البعض، ومن ذلك كما تقدم معنا حنين الجذع لرسول الله ﷺ وأنينه، وبُكاؤه، بعدما اتّخذ الرّسول ﷺ المنبر قال جابر بن عبد الله: فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ قَالَ كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ الذِّكْرِ عِنْدَهَا [صحيح: رواه البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام 3391، وكتاب البيوع، باب: النجار 1989. وهو مرويٌ بألفاظٍ أخرى عند البخاريّ، وغيره].. ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى حكاية عن حملة العرش {.. وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا...} غافر: 7 . 9 وعن الملائكة عُموماً {.. وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ.. } الشّورى: 5 ومن ذلك أيضاً قول النّبيّ ﷺ كما ثبت من حديث أبي حميد رضي الله عنه قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: هذِهِ طَابَةُ وَهذَا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب الحج، باب: أحد جبل يحبنا ونحبه 880، وفي كتاب الفضائل، باب: في معجزات النبي ﷺ 1469 عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ بلفظ: هذَا جُبَيْلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، وكتاب الحج، باب: فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة 864 عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ].

وعلى النّقيض فالجمادات، أو التي نخالها كذلك، تثور، وتنفعل بشدّة، إذا انتُقِص من قدر الله وجلاله، وصفاته شيء، أو اتّهِمَ بأنّ له شريك أو ولد. اقرؤوا معي إن شئتم قوله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً ۩



لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ۞ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً}مريم: 88 . 90 فما الدّاعي لكلّ هذا الانفعال؟ اسمعوا لقول الله { أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً } مريم: 91 وبمثله عدم اكتراث السّماوات ولا الأرض بالكافرين ومن هم على شاكلتهم؛ لأنّهم بعدوا عن قضيّة التّوحيد، وهذا ما حدث مع قوم فرعون المغرقين.. يقول الله تعالى { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ} الدّخان: 29 فنفهم من ذلك أنّ مخلوقات الله تتأثر ببعضها البعض، فتفرح بأهل الطاعة، ولا تكترث بأهل المعصية والعذاب. وتثور انتصاراً لباريها جلّ وعلا. فكما أنّ الشّمس لا تُحب أن تطلع على قومٍ يعصون الله، فإنّ الجبال تتفاخر فيما بينها، بمن يذكر الله عليها. فعن ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّ الْجَبَلَ لَيُنَادِي الْجَبَلَ أَيْ فُلَانُ هَلْ مَرَّ بِكَ أَحَدٌ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ اسْتَبْشَرَ قَالَ: عَوْنٌ فَيَسْمَعْنَ الزُّورَ إِذَا قِيلَ وَلَا يَسْمَعْنَ الْخَيْرَ هُنَّ لِلْخَيْرِ أَسْمَعُ وَقَرَأَ {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا} [إسناده صحيح: رواه البيهقي في شعب الإيمان 537، 538، 691واللفظ له، و الهيثمي في مجمع الزوائد 16783 ولفظه: : إِنَّ الْجَبَلَ يُنَادِي الْجَبَلَ بِاسْمِهِ: أَيْ فُلَانُ هَلْ مَرَّ بِكَ [الْيَوْمَ] أَحَدٌ ذَكَرَ اللَّهَ؟ فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ. اسْتَبْشَرَ.

قَالَ عَوْنٌ: فَيَسْمَعْنَ الشَّرَّ، وَلَا يَسْمَعْنَ الْخَيْرَ؟ هُنَّ لِلْخَيْرِ أَسْمَعُ. وَقَرَأَ: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا - لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا - تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا - أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا - وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا} [مريم: 88 - 92]. ، وابن أبي شيبة في مصنفه 35721، والطبراني في الكبير 8542، وابن المبارك في الزهد 333، وأبو الوليد الباجي في سنن الصالحين وسنن العابدين 347، والسيوطي في الدار المنثور 543/5، وابن القيم في الوابل الصيب 110/1، ورواه أبو نعيم في الحلية 4/ 242، و وأبو الشيخ في العظمة 11762 عن عون، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وقال الشيخ أحمد فريد في تخريجه لكتاب الزهد لابن المبارك: موقوف بسند فيه عبد الله بن واصل بيض له ابن أبي حاتم وبقية رجاله ثقات (انظر كتاب الزهد لابن المبارك طبعة دار المعراج، الطبعة الأولى 1415هـ . 1995م وقال عبد السلام بن محمد بن فاروق في كتابه (الدلائل والبينات 87/1: إسناده صحيح، الطبعة الأولى 1428هـ . 2007م دار نور الدين للنشر والتوزيع، وقدم له الشيخ مجدي عرفات، والشيخ مصطفى العدوي وقال في مقدمته: وقد راجعت معه عمله فألفيته نافعا موفقا، وقد اعتنى فيه بصحة الأحاديث والآثار مع تخريجها والحكم وعليها.... الخ)]

.. ولعلّ استبشاره بسبب أنّه وجد من يُشاركه في ذكر الله، ذلك الإله الذي يعبده، ويُحبّه، فتنشأ بين العابدين ألفة، ومودّة، ومحبّة من نوعٍ خاص، اسمعوا لقول النّبيّ ﷺ إذا رأى الهلال كما ثبت من حديث طلحة بن عبيد الله ﵁: « اللهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِاليُمْنِ، وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ » [

صحيح: رواه الترمذي في سننه 3451 واللفظ له، والدارمي في سننه 1688، وأبو يعلى في مسنده 661، 662، وأحمد في المسند 1397، والبزار في مسنده 947، وعبد بن حميد في مسنده 103، وأبو نعيم في معرفة الصحابة 3937، وفي أخبار أصبهان 90/1، والضياء في المختارة 820، 821، والحاكم في المستدرك 7767، وابن أبي عاصم في السنة 376، والعقيلي في الضعفاء الكبير 662، وابن الأثير في أسد الغابة 2622، والطبراني في الدعاء 903، والبيهقي في الدعوات الكبير 467، وأبو بكر القطيعي في جزء الألف دينار 107، وابن السني في عمل اليوم والليلة 641، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 7600، وصحّحه الألبانيّ في سُنن التّرمذيّ، وفي الصّحيحة 1816وقال: (صحيح لكثرة شواهده) وقال تحت رواية ابن أبي عاصم: حديث حسن وإسناده ضعيف من أجل سليمان بن سفيان وبلال بن يحيى فإنهما ضعيفان لكن له شاهد من حديث ابن عمر صححه ابن حبان ولذلك أوردت الحديث في "الصحيحة" 1816 لكن ليس عند أحد من مخرجيه ولا في شيء من شواهده وطرقه الأخرى الكثيرة قوله: "غير ضالين ولا مضلين" فهي زيادة منكرة. وحسنه في صحيح الجامع 4726، وقال شعيب الأرنؤوط في المسند: حسن لشواهده وهذا إسناد ضعيف]. والشّاهد هو قوله ﷺ: «.. ربّي وربّك الله » كنوع من أنواع التّفاعل بين المسبّحين والعُبّاد؛ فإلههم واحد. وعند مُسلم من حديث أَنَسٍ ﷺ قَالَ قَالَ أَنَسٌ أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَطَرٌ قَالَ فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ. فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا قَالَ « لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى » [صحيح: رواه مُسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب: الدّعاء في الاستسقاء رقم 2020].

فإذا كانت السّماء بمن فيها تكره العُصاة والكافرين. وتلعن من لعنه الله، ولا تبكي، ولا تحزن على من مات منهم، {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ }الدخان: 29 فهي على النّقيض تُحبّ الطائعين لربهم المتودّدين إليه بشتّى القُربات { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا }مريم: 96، فهي تستغفر للمُؤمنين، كما تقدّم، وتدعو لمعلّم النّاس الخير، بل إنّ الله جلّ في عُلاه، والنّملة في جُحرها، والحوت في البحر، ليصلّون على مُعلّم النّاس الخير، وكذلك الأرض والحجر والشجر إذا لبى المؤمن المسلم لبّت معه وشهدت على ذلك يوم القيامة وإذا مات الفاجر استراحت منه.

فإذا أحبّ الله إنسان حبّب فيه كلّ شيء حتّى الشّجر والحجر، فتتولّد بينهم علاقة عجيبة، سواء أكانت بين حجر وجبل، أم كانت بين طير وحجر، أم بين إنسان وحيوان، أم جماد، فالكلّ يعبد إله واحد، يرجو رحمته، ويخشى عذابه.

ولقد كان (سعد بن معاذ) ﷺ من الذين أحبّهم عرش الرّحمن، والله أعلم. فلعلّه كان ذائع الصّيت في الملأ الأعلى، لهذا لما مات ﷺ اهتزّ له عرش الرّحمن.. نعم اهتز حزنا لموت عبد صالح من صحابة النبي ﷺ وفرحا

بقدوم روحه وهو سعد بن معاذ ﷺ كما ثبت من حديث جَابِرٍ ﷺ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل سعد بن معاذ ﷺ 1603] فلماذا اهتز العرش لما مات سعد؟ والجواب: من فرح الله عز وجل به كما ثبت من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدْرِي قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اهْتَزَّ الْعَرْشُ لموْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ مِنْ فَرَحِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلّ [إسناده جيد: رواه تمام الرازي في الفوائد 18/1، وجود الألباني إسناده في الصحيحة 1288]

قال الإمام النووي رحمه الله:

(اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ) اختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى في العرش تمييزا حصل به هذا ولا مانع منه كما قال تعالى وأن منها لما يهبط من خشية الله وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار وقال المازري قال بعضهم هو على حقيقته وأن العرش تحرك لموته قال وهذا لا ينكر من جهة العقل لأن العرش جسم من الأجسام يقبل الحركة والسكون قال لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك إلا أن يقال إن الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة على موته [شرح النووي على مسلم - (ج 16 / ص 22)]

والدواب أيضا تسمع وترى وتنفعل لما يحدث حولها كما ثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَا تَشُوبُوا اللَّبَنَ لِلْبَيْعِ ". ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ الْمُحَفَّلَةِ، ثُمَّ قَالَ مَوْصُولًا بِالْحَدِيثِ " أَلَا وَإِنَّ رَجُلًا مِنْ قَبْلِكُمْ جَلَبَ خَمْرًا إِلَى قَرْيَةٍ فَشَابَهَا بِالْمَاءِ، فَأَضْعَفَ أَضْعَافًا، فَاشْتَرَى قِرْدًا فَرَكِبَ الْبَحْرَ، حَتَّى إِذَا لَجَجَ فِيهِ أَلْهَمَ اللهُ الْقِرْدَ صُرَّةَ الدَّنَانِيرِ، فَأَخَذَهَا فَصَعِدَ الدَّقَلَ، فَفَتَحَ الصُّرَّةَ وَصَاحِبُهَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ دِينَارًا فَرَمَى بِهِ فِي الْبَحْرِ، وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ، حَتَّى قَسَمَهَا نِصْفَيْنِ " [صحيح لغيره: رواه البيهقي في شعب الإيمان 5308 واللفظ له، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة 2/2765، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال 253/3، والمقدسي في ذخيرة الحفاظ 6105، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب 1772.. الدقل: خشبةٌ يُمَدُّ عليها شِرَاع السَّفِينة، وتُسميها البحرية: الصَّاري] وفي رواية عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَبِيعُ الْخَمْرَ فِي سَفِينَةٍ لَهُ وَمَعَهُ قِرْدٌ فِي السَّفِينَةِ، وَكَانَ يُشْرِبُ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ، فَأَخَذَ الْقِرْدُ الْكِيْسَ فَصَعِدَ الذُّرْوَةَ وَفَتَحَ الْكِيْسَ، فَجَعَلَ يَأْخُذُ دِينَارًا وَيُلْقِيهِ فِي السَّفِينَةِ، وَدِينَارًا فِي الْبَحْرِ حَتَّى جَعَلَهُ نِصْفَيْنِ " [صحيح: رواه البيهقي في شعب الإيمان 5307 واللفظ له، والطبراني في الأوسط 2507، 7585، والهيثمي في بغية الباحث 425، وأحمد في المسند 8041، 8408، 9271، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة 2765، وإبراهيم الحربي في غريب الحديث 889/2، وابن بشران في أماليه 77، وأبو نعيم في أخبار أصبهان 454/1، وأبو القاسم الشافعي في تاريخ مدينة دمشق 164/32، وأبو سعيد النقاش في فنون العجائب 79، 80، والديلمي في الفردوس 4821، والدارقطني في العلل 259/10، ورواه البيهقي في الشعب



5307، وابن قتيبة في عيون الأخبار 362/1 عن الحسن مرسلا، وصححه الألباني مرفوعا ومرسلا فصححه مرفوعا عن أبي هريرة في الصحيحة 2844، وفي صحيح الترغيب 1770، وصححه لغيره في صحيح الترغيب 1771 عن الحسن مرسلا، ورجح شعيب الأرنؤوط وقفه في تعليقه على المسند فقال في الرواية الأولى: : رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة من رجال مسلم وقد شك حماد في رفعه كما سيأتي من رواية عفان بن مسلم عنه ووقفه هو الصواب عندنا فإنه يبعد جدا أن يعاقب من يشوب الخمر بالماء بمثل هذا لأن الخمر لم تكن مباحة قط لا قبل الإسلام ولا بعده ويغلب على الظن أن هذا مما سمعه أبو هريرة من كعب الأحبار مما تناقلته بنو إسرائيل بينهم من الحكايات القديمة والله أعلم، وقال في الثانية: رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم. والصواب وقفه كما تقدم، وقال في الثالثة: رجاله ثقات رجال الصحيح والصواب وقفه، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 1348، والخلاصة أن الحديث صحيح مرفوعا وموقوفا والله أعلم] فعلى الرواية الأولى أثبت الحديث أن الله قد ألهم القرد ليفعل ما فعل، وعلى الثانية أثبت الحديث أن للقرد عقل وتمييز بل وحكم على الأشياء فهو كائن حي يعرف الله ويعرف الحق والباطل يسمع ويرى ويفكر فضلا عن صفات الحياة الأخرى من التزاوج والإحساس والحركة وغيرها..

وها هي البقرة تعترض على استعمالها فيما لم تخلق له كما ثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ فَقَالَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهذَا، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا هُمَا ثَمَّ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق 1543]

وهذا هو الذئب يعترض على انتزاع رزق ساقه الله إليه

كما ثبت في الحديث نفسه عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ: هذَا، اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لاَ رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ قَالَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا هُمَا ثَمَّ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق 1543] فكيف عرف الله وكيف عرف بمسألة الرزق؟ وكيف عرف بيوم السبع

وفي رواية عنه ﷺ قَالَ: جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْهُ، قَالَ: فَصَعِدَ الذِّئْبُ عَلَى تَلٍّ، فَأَقْعَى وَاسْتَقَرَّ، وَقَالَ: عَمَدْتُ إِلَى رِزْقٍ رَزَقَنِيهِ اللَّهُ أَخَذْتُهُ، ثُمَّ انْتَزَعْتَهُ مِنِّي؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: تَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ الذِّئْبُ: أَعْجَبُ مِنْ هَذَا رَجُلٌ فِي النَّخلاتِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ يُخْبِرُكُمْ بِمَا مَضَى وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ..) [صحيح: رواه البغوي في شرح السنة 4282 واللفظ له، وأحمد



في المسند 8049، والهيثمي في غاية المقصد في زوائد المسند 1066/2، وأبو سعيد النقاش في فنون العجائب 9، 14، و إسحاق بن راهويه في مسنده 360، وعبد الرزاق في مصنفه 20808 وصححه الألباني في مشكاة المصابيح 5927] وفي رواية أخرى من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ قَالَ أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَقَالَ يَا عَجَبِي ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْإِنْسِ فَقَالَ الذِّئْبُ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِيَثْرِبَ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ..) [إسناده صحيح: رواه أحمد في المسند 11809، 11859 واللفظ له، والهيثمي في غاية المقصد في زوائد المسند 1063/2، 1064/2، 1065/2، والحاكم في المستدرك 8444، وابن حبان في صحيحه 6494، والهيثمي في موارد الظمآن 2109، وعبد بن حميد في مسنده 877، وفي المنتخب من مسنده 875، وأبو سعيد النقاش في فنون العجائب 15، والطبراني في مسند الشاميين 2944، والطحاوي في شرح مشكل الآثار 6178 كلهم عن أبي سعيد الخدري، ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة 885 عن أهبان بن أوس الأسلمي، ويعرف بمكلم الذئب وقيل: إن مكلم الذئب، أهبان بن عياذ الخزاعي، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان على شرط مسلم، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة 122، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 406]

فكيف عرفت البقرة أنها وجنس البقر أجمع خلقن للحرث لا للركوب؟ ووكونها تقول خلقنا فهي تعرف لها خالقا فكيف عرفت خالقها؟ وكيف عرف الذئب ربه وكيف عرف التقوى والحلال والحرام؟ بل وكيف عرف بالنبي محمد ﷺ؟ لا شك لأنها كائنات حية قابل للإدراك والتمييز بل والتكليف الشرعي لو أراد الله أو الإلهام بفعل شيء معين لحكمة معينة كما حدث مع يونس والحوت فالحوت لم يبتلعه من تلقاء نفسه وإنما أُمِرَ بذلك في وقت محدد وبكيفية محددة ثم أُمِرَ بإخراجه في وقت محدد بكيف محدد في مكان محدد.. كما أمر النحل أن يتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرش الناس.. وكما خرجت النملة بالنمل يستسقون.. كذلك أمر القرد فقسم الدنانير.. نعم فإلههم واحد وربهم وخالقهم واحد وهم أمم كأمم البشر لهم نظم حياة خاصة وقوانين يتعايشون بها فيما بينهم وإذا كان الأحياء كذلك فالجماد الذي نخاله كذلك أيضا حي وله قوانين خاصه تحكمه فكل حي على طريقته وعلى قانونه الذي وضعه الله له وسخره له.

ومنها حديث أبي هريرة ﷺ عنه قال قال ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّفْسِ: اخْرُجِي، قَالَتْ: لا أَخْرُجُ إِلا كَارِهَةً [صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد 219 واللفظ له، وفي التاريخ الكبير 275/3 رقم 937، والهيثمي في كشف الأستار 783، وفي مجمع الزوائد 3924 ولفظه فيهما: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلنَّفْسِ: اخْرُجِي،

قَالَتْ: لا أَخْرُجُ إلا كَارِهَةً، قَالَ: "اخْرُجِي وَإِنْ كَرِهْتِ"، وابن الأعرابي في معجمه 2105، وابن بشران في أماليه 237، والبيهقي في الزهد الكبير 460، والديلمي في الفردوس 4500، وصححه الألباني في الأدب المفرد، وفي صحيح الجامع 4329، وصححه في الصحيحة 2013 بلفظ الهيثمي وزيادته، وصححه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين 1386]

ومن ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى الطُّورِ فَلَقِيتُ كَعْبَ الأَحْبَارِ فَجَلَسْتُ مَعَهُ فَحَدَّثَنِي عَنِ التَّوْرَاةِ، وَحَدَّثْتُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ فِيمَا حَدَّثْتُهُ أَنْ قُلْتُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ وَهِىَ مُسِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ إِلاَّ الْجِنَّ، وَالإِنْسَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّى يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ».... الخ [صحيح: رواه البيهقي في الكبرى 5798 واللفظ له، وفي الصغرى 631، وفي شعب الإيمان 2975، وفي فضائل الأوقات 251، وفي معرفة السنن والآثار 6688، ومالك في الموطأ 241 رواية يحي الليثي، وأبو داود في سننه 1046، والحاكم في المستدرك 1030، وأبو عوانة في مسنده 2545، والشافعي في مسنده 312، والنسائي في الكبرى 1754، وفي السنن 1430، وفي الجمعة 108 وعنده " إلا ابن آدم "، وابن حبان في صحيحه 2772، وأحمد في المسند 10308، والهيثمي في موارد الظمآن 1024، والضياء في المختارة 395، 396 ولفظ الأخيرة: إلا ابن آدم، وابن بشران في أماليه 95، وابن منده في التوحيد56 بلفظ " إلا ابن آدم "، وصححه الألباني في سنن النسائي، وفي إرواء الغليل 228/3، وفي مشكاة المصابيح 1359، وفي صحيح الجامع 3334، وفي سنن أبي داود، وقال شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان وفي المسند: إسناد صحيح على شرط الشيخين، وصححه في سنن أبي داود، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 182.. ومصيخة: منصتة مستمعة] ومصيخة: منصتة مستمعة]

وعنه أيضا ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغْرُبُ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا تَفْزَعُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ إِلَّا هَذَيْنِ الثَّقَلَيْنِ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَكَانِ يَكْتُبَانِ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ فَكَرَجُلٍ قَدَّمَ بَدَنَةً وَكَرَجُلٍ قَدَّمَ بَقَرَةً وَكَرَجُلٍ قَدَّمَ شَاةً وَكَرَجُلٍ قَدَّمَ طَائِرًا وَكَرَجُلٍ قَدَّمَ بَيْضَةً فَإِذَا قَعَدَ الْإِمَامُ طُوِيَتْ الصُّحُفُ [صحيح: رواه أحمد في المسند 7673، 9898 واللفظ له، والطبراني في الأوسط 8790، وابن حبان في صحيحه 2770، والهيثمي في موارد الظمآن 551، وابن خزيمة في صحيحه 1727، وأبو يعلى في مسنده 6468، 6498، وعبد بن حميد في مسنده 1443، وعبد الرزاق في مصنفه 5563، وابن جريج في جزئه (رواية ابن شاذان)56، وإسماعيل بن جعفر في حديثه 258، وصححه شعيب الأرنؤوط إسناده في صحيح ابن حبان وفي المسند (رواية أحمد الثانية) على شرط مسلم،



وقال في الأولى: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير العلاء بن عبد الرحمن، وصححه الأعظمي في صحيح ابن خزيمه فقال: إسناده صحيح، وحسن حسين سليم أسد إسناد رواية أبي يعلى الأولى وصحح إسناد الثانية، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب 697، وانظر الصحيحة تحت حديث 1502]

ومن حديث سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ أَخْبِرْنَا عَنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَاذَا فِيهِ مِنْ الْخَيْرِ قَالَ فِيهِ خَمْسُ خِلَالٍ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ هَبَطَ آدَمُ وَفِيهِ تُوُفِّيَ آدَمُ وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهَ عَبْدٌ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ مَأْثَمًا أَوْ قَطِيعَةَ رَحِمٍ وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا جِبَالٍ وَلَا حَجَرٍ إِلَّا وَهُوَ يُشْفِقُ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ [صحيح لغيره: رواه أحمد في المسند 22510 واللفظ له، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة 1469، والطبراني في الكبير 5376، والبيهقي في شعب الإيمان 2974، وفي معرفة السنن والآثار 6689، والبزار في مسنده 3738، والهيثمي في غاية المقصد 1137/1، وفي كشف الأستار 615، وفي مجمع الزوائد 2995، والشافعي في مسنده 310، وعبد بن حميد في مسنده 309، وأبو نعيم في معرفة الصحابة 3123، وابن حجر في المطالب العالية 724 كلهم عن سعد بن عباده، ورواه الطبراني في الكبير 4511، وابن ماجة في سننه 1084، والكناني في مصباح الزجاجة 387، والبيهقي في شعب الإيمان 2973، وفي فضائل الأوقات 250، وأحمد في المسند 15587، وابن أبي شيبة في مسنده 814، وفي مصنفه 5559، وأبو نعيم في الحلية 366/1، وفي معرفة الصحابة 2722، وابن بشران في أماليه 814 كلهم عن أَبِي لُبَابَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ ، والحديث قال فيه البزار: لا نَعْلَمُهُ يُرْوَى إلا بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَإِسْنَادُهُ صَالِحٌ. ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والبزار إلا أنه قال فيه: " سيد الأيام يوم الجمعة " والطبراني في الكبير وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وفيه كلام وقد وثق وبقية رجاله ثقات، وقال ابن حجر في المطالب العالية: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ إِنْ كَانَ شُرَحْبِيلُ سَمِعَ مِنَ جَدِّهِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وكان الألباني رحمه الله قد حسنه في سنن ابن ماجة، وفي صحيح الجامع 2279، وفي المشكاة 1363، 1364 إلا أنه تراجع عن ذلك، فضعفه، قال رحمه الله في الضعيفة 3726: وجملة القول؛ أن الحديث قد تفرد بروايته عبد الله بن محمد بن عقيل، واضطرب في إسناده اضطراباً شديداً، وفي متنه. فهو ضعيف بهذا السياق التام، وقد صح نحوه من حديث أبي هريرة؛ دون تلك الزيادة في آخره، وهو مخرج في "صحيح أبي داود" (961)، وساعة الإجابة منه متفق عليها بين الشيخين، هذا؛ وقد كنت حسنت الحديث في بعض تعليقاتي تبعاً للبوصيري في كتابه "الزوائد" ومشياً مع ظاهر إسناده عند ابن ماجه، والآن وقد تيسر لي تحقيق القول في إسناده ومتنه؛ فقد وجب علي بيانه أداءً للأمانة العلمية، داعياً:



(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا). ، لكن صححه شعيب الأرنؤوط في المسند لغيره وقال: صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف. والله أعلم]

فكيف عرفت دواب الأرض وأحجارها والسموات بما فيها أن الساعة تقوم يوم الجمعة، وكيف أدركت ذلك وتوارثت ذلك عبر الأجيال؟ ومن أي جزء فيها تتم عملية الإدراك؟ لابد إذن من إثبات حياة الكون كله.

فالمقرر الآن أن الكون كله كائن حي كل ما حولك وما فوقك وما تحتك يسمع ويرى ويشعر وينفعل ويعرف ربه ويعبده ويسبحه وكل له دور في الحياة مثلك وكل له لحظة ميلاد ولحظة نهاية وفناء والمتأمل في كثير من نصوص السنة الصحيحة ليستشف هذا الفهم العميق للكون وحياته من كلام النبي ﷺ وأوامره للصحابة بحسن معاملة الكائنات الحية لا سيما المسخرة منها، ويظهر للمتأمل حرصه على غرس روح المحبة والمودة بين الإنسان والحيوان والطير والنبات فهي كائنات حية بكل ما تحمله الكلمة من معان لها مولد ووفاة ولها نظام معيشة وقوانين خاصة لكل أمة ولها مشاعر وأحاسيس ولها كرامة وعزة نفس ولها عبادات وقربات لله خالقها وخالق كل شيء واسمحوا لي أن أطوف معكم ببعض الأحاديث النبوية التي تجلت فيها تلك المعاني النبيلة وكيف راعى الإسلام وآدابه مشاعر الحيوان وأحاسيسه

فمن ذلك ما ثبت من حديث حديث أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: النهي عن صبر البهائم 1278] وفي رواية لمسلم عنه قَالَ دَخَلْتُ مَعَ جَدِّى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ دَارَ الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ فَإِذَا قَوْمٌ قَدْ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا قَالَ فَقَالَ أَنَسٌ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ. [صحيح: رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب: النهي عن صبر البهائم 5169، وروله تصبر: تحبس وترمى حتى تموت]

ثم تأكد هذا النهي بما ثبت من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « لاَ تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا ».. [صحيح: رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب: النهي عن صبر البهائم 5171]

ومن حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ شَىْءٌ مِنَ الدَّوَابِّ صَبْرًا. [صحيح: رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب: النهي عن صبر البهائم 5175]

ثم شدد العقوبة على من يفعل ذلك بحيث تصل إلى درجة اللعن كما ثبت من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ، فَمَرُّوا بِفِتْيَةٍ، أَوْ بِنَفَرٍ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا عَنْهَا وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هذَا إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَعَنَ مَنْ فَعَلَ هذَا[متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: النهي عن صبر البهائم 1279] وفي رواية عنه رضي الله عنه قَالَ مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ فَلَمَّا رَأَوُا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ مَنْ فَعَلَ هَذَا لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ

شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا.. [صحيح: رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب: النهي عن صبر البهائم 5174] فالذي يمثل بالحيوان ويعبث بحياته ملعون كما ثبت من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ مَثَّلَ بِالْحَيَوَانِ [صحيح: رواه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب: ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة 5196] فانظر وتأمل كيف راعى الإسلام مشاعر الحيوان وأثبت له كرامة وأن الواجب على المسلم إذا لم يتخذه مركوبا أو مطعوما أن يحترمه ولا يعبث به ولا بمشاعره فهو روح وهو كائن حي وليحذر الذي يفعل ذلك أن يشتكيه الحيوان لله رب العالمين فيجازى من جنس فعله. فالإسلام كفل للحيوان حياة كريمة وهو أول من أصل للعالم قانون الرفق بالحيوان.. ويبدو هذا جليا في مراعاة حب الحيوان لولده وأن التفريق بين الأم وأولادها يحزنها ويفجعها فنهى النبي عن ذلك كما ثبت من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ نَزَلَ مَنْزِلًا فَأَخَذَ رَجُلٌ بَيْضَ حُمَّرَةٍ فَجَاءَتْ تَرِفُّ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ بِبَيْضَتِهَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَخَذْتُ بَيْضَتَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ارْدُدْهُ رَحْمَةً لَهَا [صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد 382 واللفظ له، والبزار في مسنده 2010، والطيالسي في مسنده 336 كلهم عن ابن مسعود، ورواه أحمد في المسند عبد الرحمن بن عبد الله مرسلا، وصححه الألباني في الأدب المفرد مرفوعا، وصححه أحمد شاكر في التعليق على المسند وقال: إسناده صحيح، إلى عبد الرحمن، وهو مرسل. (حمرة: طائر صغير كالعصفور)]

بل وحرم أن تقتل الدواب حرقا بالنار كما ثبت من حديث عبدِ الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفرُشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا". وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَقْنَاهَا، فَقَالَ: "مَنْ حَرَقَ هَذِهِ؟ " قُلْنَا: نَحْنُ، قَالَ: "إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ" [صحيح: رواه أبو داود في سننه 2675، 5268 واللفظ له، والحاكم في المستدرك 7599، والطبراني في الأوسط 4143، وفي الكبير 10375، وابن أبي شيبة في مسنده 196، وهناد في الزهد 1337، وأبو إسحاق الفزاري في السير 110 كلهم عن ابن مسعود، وأحمد في المسند عن عبد الرحمن بن عبد الله مرسلا، وصححه الألباني في سنن أبي داود، وفي الصحيحة 25، 487، وفي صحيح الترغيب 2268، وصححه شعيب الأرنؤوط في سنن أبي داود، وأحمد شاكر في التعليق على المسند مرسلا لكنه صحح رواية أبي داود فقال: إسناده صحيح، إلى عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، فوقع الحديث هنا في الأصلين مرسلا، لم يذكر فيه "عن ابن مسعود". وقد رواه أبو داود مطولا 3: 8 و 4: 539 - 540 من طريق أبي إسحق الفزاري عن أبي إسحاق الشيباني عن الحسن بن سعد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه. قال المنذري: "ذكر البخاري وعبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي أن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود سمع من

أبيه، وصحح الترمذي حديث عبد الرحمن عن أبيه في جامعه". فإسناد أبي داود صحيح متصل] تلك الكائنات الحية المسخرة لخدمتنا والمباح لنا أكلها والحمل عليها لها حقي علينا واجب من الإطعام والسقيا وعدم العبث بها وعدم ركوب ما لم يأذن الشارع في ركوبه فلقد وضع النبي القانون الرادع لأي انتهاكات في حق الدواب وغيرها كما ثبت من حديث سَهْلَ ابْنَ الْحَنْظَلِيَّةِ الْأَنْصَارِيَّ ﷺ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ عُيَيْنَةَ والْأَقْرَعَ سَأَلَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا فَأَمَرَ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَكْتُبَ بِهِ لَهُمَا فَفَعَلَ وَخَتَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَ بِدَفْعِهِ إِلَيْهِمَا فَأَمَّا عُيَيْنَةُ فَقَالَ مَا فِيهِ قَالَ فِيهِ الَّذِي أُمِرْتُ بِهِ فَقَبَّلَهُ وَعَقَدَهُ فِي عِمَامَتِهِ وَكَانَ أَحْكَمَ الرَّجُلَيْنِ وَأَمَّا الْأَقْرَعُ فَقَالَ أَحْمِلُ صَحِيفَةً لَا أَدْرِي مَا فِيهَا كَصَحِيفَةِ الْمُتَلَمِّسِ فَأَخْبَرَ مُعَاوِيَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِمَا وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ فَمَرَّ بِبَعِيرٍ مُنَاخٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ثُمَّ مَرَّ بِهِ آخِرَ النَّهَارِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ فَقَالَ أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ فَابْتُغِيَ فَلَمْ يُوجَدْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ ثُمَّ ارْكَبُوهَا صِحَاحًاوَارْكَبُوهَا سِمَانًا كَالْمُتَسَخِّطِ آنِفًا إِنَّهُ مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُغْنِيهِ قَالَ مَا يُغَدِّيهِ أَوْ يُعَشِّيهِ [صحيح: رواه أحمد في المسند 17662 واللفظ له، والطبراني في الكبير 5620، وفي مسند الشاميين 584، 585 بلفظ: (اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ كُلُوهَا سِمَانًا وَارْكَبُوهَا صِحَاحًا)، وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني 2074 بلفظ: اتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ كُلُوهَا سِمَانًا، وَارْكَبُوهَا صِحَاحًا، وابن حبان في صحيحه 545، 3394 بلفظ: (اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ اركبوها صحاحا وَكُلُوهَا سِمَانًا)، والهيثمي في غاية المقصد 1758/1 بلفظ أحمد، وفي موارد الظمآن 844 بلفظ ابن حبان، وفي مجمع الزوائد بلفظ: ارْكَبُوهَا صِحَاحًا واركبوها سمانا4520، وابن أبي حاتم في العلل 2365 بلفظ الطبراني، وأبو داود في سننه مختصرا 2550 بلفظ: « اتَّقُوا اللَّهَ فِى هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا وَكُلُوهَا صَالِحَةً »، وابن خزيمة في صحيحه مختصرا 2545 بنحوه، وصححه الألباني في سنن أبي داود وصحيح ابن خزيمة، وفي الصحيحة 23 وقال: رواه ابن حبان (844) و أحمد (4 / 180 - 181) و سنده صحيح على شرط البخاري. ثم قال رحمه الله: (تنبيه): قوله (كُلُوهَا) قيدوها بضم الكاف من الأكل و عليه جرى المناوي في شرح هذه الكلمة، فإذا صحت الرواية بذلك فلا كلام، و إلا فالأقرب عندي أنها (كِلُوهَا) بكسر الكاف من وكل يكل كل أي اتركوها، هذا هو المتبادر من سياق الحديث. و يؤيده الحديث المتقدم (رقم 22) بلفظ " اركبوا هذه الدواب سالمة، و ايتدعوها سالمة..."، أي اتركوها سالمة و الله أعلم. (المعجمة): أي التي لا تقدر على النطق فتشكو ما أصابها من جوع أو عطش، و أصل الأعجم: الذي لا يفصح بالعربية و لا يجيد التكلم بها عجميا كان أو عربيا سمي به لعجمة لسانه، و التباس كلامه.) وصححه في صحيح الترغيب 2273، وفي المشكاة 3370، وصححه شعيب الأرنؤوط سنن أبي داود وقال: حديث صحيح، وهذا إسناد قوي من أجل مسكين بن بُكير فهو صدوق لا بأس به،

وقد توبع. وفي المسند وقال: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح، وفي صحيح ابن حبان فصحح إسناد الرواية الأولى على شرط البخاري، والثانية قال: إسناده صحيح، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 461، 245/1 تحت حديث 461]

وعليه فالأمر بتقوى الله فيها صار دينا يتدين لله به ويتقرب لله به بعكس الذين يعظمون الحيوان ويدعون الرفق به وهم كذبة محتالون وغاية ما هنالك أن أنهم يخافون من القوانين الرادعة في ذلك فلو انتفت القوانين لن تجد إلا الوحشية والهمجية والدليل أنهم يقومون بالمجازر لإبادة الآدميين في الوقت الذي يرفقون فيه بالحيوان، أما المسلم فالذي يحركه هو دينه هو خوفه من الله ومراقبته له لعلمه أنه سيقف بين يديه يوم القيامة فيسأله عن ذلك

فهو في الدنيا مأجور مغفور له مرحوم برحمته للدواب وفي الآخرة رحمة الله ورضوانه.. وإن العاقل ليحذر من الدواب أن تشتكيه لله وهو لا يدري فلمقرر أن لها حياة ولغة وتسبيحا وعليه فهي تدعو إما له وإما عليه

فها هو الجمل يتحاكم إلى النبي ﷺ بعد أن حن إليه وذرفت عيناه لرؤياه كما ثبت من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه قَالَ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ قَالَ فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ فَجَاءَ فَتًى مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ [صحيح: رواه أبو داود 2549 واللفظ له، وأحمد في المسند 1745، 1754 وأبو يعلى في مسنده 6787، والبيهقي في الكبرى 15592، وفي الصغرى 2945، وفي معرفة السنن والآثار 15631، والحاكم في المستدرك 2485، وابن أبي شيبة في مصنفه 31756، والبوصيري في إتحاف الخيرة 6473، وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني 437، وأبو عوانة في مسنده 497، والضياء في المختارة 133، 135، 136، وابن أثير في أسد الغابة 731، وصححه الألباني رحمه الله في سنن أبي داود، وقال في صحيح أبي داود 2297: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الحاكم والذهبي والضياء. وأخرج مسلم أوله، وفي الصحيحة 20، وفي تحقيق رياض الصالحين 974، وانظر صحيح الترغيب 2269، وصححه حين سليم أسد في مسند أبي يعلى، وصححه شعيب الأرنؤوط في سنن أبي داود]

فهذا الجمل قد أكرمه الله وشرف ذكره بأن شكا إلى النبي فأنقذه الله به ﷺ من العذاب، فكم من بهيمة تشكو صاحبها إلى الله ولا يسمعها أحد وإن سمع فلا يفهم حقيقة ما تقول سوى خالقها؟ نعم الجمل كائن حي له أسلوب حياة وله مشاعر وأحاسيس، وله عقل عرف به النبي ومكانته بل وعرف معنى النبوة

ومقتضاها.. هل تتخيل أن الحيوانات تبكي وتحزن وتشكو مثل الإنس؟ إن كنت لا تعلم فهي كذلك وتلك هي الحقيقة فالكون كله كائن حي.

وإذا كان النبي بين الأدب في أكلها سالمة وتركها سالمة فقد هذب ركوبها ونهى عن اتخاذها كراسي للجلوس عليها أو اتخاذها منابر للخطبة والكلام بغير حاجة أو ضرورة ملحة تستدعي ذلك كما ثبت من حديث سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « ارْكَبُوا هَذِهِ الدَّوَابَّ سَالِمَةً وَايْتَدِعُوهَا سَالِمَةً وَلاَ تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَّ »[صحيح: رواه البيهقي في الكبرى 10116 واللفظ له، وفي الآداب 638، والبوصيري في إتحاف الخيرة 2409، والحاكم في المستدرك 1625، 2486، والطبراني في الكبير 431، والهيثمي في بغية الباحث 886، وفي موارد الظمآن 2002، والدارمي في سننه 2668، وابن حبان في صحيحه 5619، وابن خزيمة في صحيحه 2544، وأحمد في المسند 15677، 15679، 18081، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 1242، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق 387/9، والطحاوي في شرح مشكل الآثار 40، وابن سمعون في أماليه 1، كلهم باللفظ المذكور، ورواه الطبراني في الكبير 432، وأحمد في المسند 15667، 15684، والهيثمي في غاية المقصد 608/2، 2700/2، وفي مجمع الزوائد 13225، 17156، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق 388/9 ولفظهم: فَرُبَّ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا وَأَكْثَرُ ذِكْرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع 908، وفي الصحيحة 21، وانظر الصحيحة 23، وصححه لغيره في صحيح ابن خزيمة، وحسن إسناده حسين سليم أسد في سنن الدارمي، كما حسن الأعظمي إسناده في صحيح ابن خزيمة، وقوي إسناده شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط في المسند برواياته 15677، 15679، 18081، وحسنه بروايتيه 15667، 15684 دون الفقرة الأخيرة فقال: حسن إلى قوله: "وَلاَ تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَّ " وهذا لإسناد ضعيف، وحسمه الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد وإسناده حسن]

قال ابن خزيمة: قال أبو بكر في خبر معاذ بن أنس الجهني عن أبيه دلالة على أن النبي ﷺ إنما أباح الحمل عليها في السير طلبا لقضاء الحاجة إذا كانت الدابة المركوبة محتملة للحمل عليها لأنه قال: اركبوها سالمة و ابتدعوها سالمة و كذلك في خبر سهل: اركبوها صالحة و كلوها صالحة فإذا كان الأغلب من الدواب المركوبة إنها إذا حمل عليها في المسير عطبت لم يكن لراكبها الحمل عليها النبي ﷺ قد اشترط أن تركب سالمة و يشبه أن يكون معنى قوله اركبوها سالمة أي ركوبا تسلم منه و لا تعطب و الله أعلم [انظر صحيح ابن خزيمة تحت حديث 2547] ومن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ وَجَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ ». [صحيح: رواه أبوداود في سننه 2569 واللفظ له، والبيهقي في شعب الكبرى

10115 بلفظ: " إِيَّايَ أَنْ تَتَّخِذُوا "، وفي شعب الإيمان 11083، وفي الآداب 638، والطحاوي في شرح مشكل الآثار 38، والطبراني في مسند الشاميين 867 بلفظ: " إِيَّايَ أَنْ تَتَّخِذُوا "، وصححه الألباني في سنن أبي داود، وفي صحيح الجامع 2691، وفي الصحيحة 22، وفي المشكاة 3916، وحسنه شعيب الأرنؤوط في سنن أبي داود]

وحتى الحمير كان لها من اهتمام النبي وإشفاقه عليها نصيبا وافرا كما ثبت من حديث جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِحِمَارٍ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ « أَمَا بَلَغَكُمْ أَنِّ قَدْ لَعَنْتُ مَنْ وَسَمَ الْبَهِيمَةَ فِي وَجْهِهَا أَوْ ضَرَبَهَا فِي وَجْهِهَا ». فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ. [صحيح: رواه أبو داود في سننه 2564 وصححه الألباني في سنن أبي داود، وفي إرواء الغليل 242/7، وفي الصحيحة 1549، وفي غاية المرام 179/1، وصححه شعيب الأرنؤوط في التعليق على سنن أبي داود، (وسم: عُلم بالكي)]

ثم يأتي الأدب عند وسم الحيوان كما ثبت من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِمَارًا مَوْسُومَ الْوَجْهِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ قَالَ فَوَاللَّهِ لاَ أَسِمُهُ إِلاَّ فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنَ الْوَجْهِ. فَأَمَرَ بِحِمَارٍ لَهُ فَكُوِيَ فِي جَاعِرَتَيْهِ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَوَى الْجَاعِرَتَيْنِ. [صحيح: رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب: النهى عن ضرب الحيوان فى وجهه ووسمه فيه 5675 (الجاعرتان: هما من الحمار حرفا الورك المشرفان مما يلى الدبر الموسوم: المعُلَّم بالكي)]

وإذا كانت الدواب تدعو على الظالم وتشتكي فهي أيضا تدعوا للمحسن إليها كما ثبت من حديث أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « مَا مِنْ فَرَسٍ عَرَبِيٍّ إِلاَّ يُؤْذَنُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بِدَعْوَتَيْنِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَوَّلْتَنِي مَنْ خَوَّلْتَنِي فَاجْعَلْنِي مِنْ أَحَبِّ مَالِهِ وَأَهْلِهِ إِلَيْهِ ».. [صحيح: رواه البيهقي في الكبرى 12680 واللفظ له، البزار في مسنده 3893 واللفظ له، و، وأبو نعيم في الحلية 387/8، والدارقطني في العلل 1123، وأبو الشيخ في العظمة 12813، والحاكم في المستدرك 2457، 2638، والنسائي في السنن 3579، وفي الكبرى 4405، وأحمد في المسند 21535، وفي العلل ومعرفة الرجال 5777، وصححه الألباني في سنن النسائي، وفي صحيح الجامع 2414، وفي صحيح الترغيب 1251، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند موقوفا وعلى فرض ثبوته موقوفا فقط فله حكم الرفع لأنه لا يعرف من قبل الرأي والله أعلم]

ثم بين النبي ﷺ كيف يكون الأدب مع تلك الكائنات المسخرة لنا عند ذبحها.. فلا نصعقها بالكهرباء ولا نقتلها رميا بالرصاص ولا نلقيها من فوق جبل ولا ندق أعناقها بحجر.. ولكن ننهي حياتها بما لا يؤذيها ولا يشعرها بأي ألم بحيث تتم عملية الذبح بمنتهى السرعة والإتقان مع حد الشفرة المستعملة في الذبح لئلا يعذب الحيوان عند ذبحه كما ثبت من حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ

شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ ». [صحيح: وراه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة 5167] ومن حديث سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَدِّ الشِّفَارِ وَأَنْ تُوَارَى عَنِ الْبَهَائِمِ ثُمَّ قَالَ: « إِذَا ذَبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجْهِزْ ». كَذَا رَوَاهُ ابْنُ لَهِيعَةَ مَوْصُولاً جَيِّدًا. [صحيح: رواه البيهقي في الكبرى 18920، 18921 واللفظ له، وفي الصغرى 3865، وفي شعب الإيمان 11074، والطبراني في الكبير 13144، وابن ماجة في سننه 3172، والبوصيري في مصباح الزجاجة 1105، وأحمد في المسند 5864، وأبو بكر القطيعي في جزء الألف دينار 281، والمقدسي في ذخيرة الحفاظ 1262، وقال البيهقي: رواه ابن لهيعة موصولا جيدا، وصححه الألباني في الصحيحة 3130، وفي صحيح الترغيب 1091، وأحمد شاكر في التعليق على المسند]

وتأمل كيف راعى الإسلام مشاعر الحيوان قبيل ذبحه فنهى عن حد الشفرة أمامه كما ثبت من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةِ شَاةٍ وَهُوَ يَحُدُّ شَفْرَتَهُ وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا فَقَالَ: « أَفَلاَ قَبْلَ هَذَا أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتًا ». تَابَعَهُ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَاصِمٍ وَقَالَ: « أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ ». وَرَوَاهُ مَعْمَرٌ عَنْ عَاصِمٍ فَأَرْسَلَهُ لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ ابْنَ عَبَّاسٍ. [صحيح: رواه البيهقي في الكبرى 18922 واللفظ له، والحاكم في المستدرك 7563، و7570 مرفوعا، وعبد الرزاق في مصنفه 8608 عن عكرمة مرسلا، و رواه الطبراني في الأوسط 3590 بلفظ: تريد أن تميتها موتتين، و في الكبير 11916 بلفظ: أو تريد أن تميتها موتتان؟ ، وصححه الألباني في صححي الجامع 93، وفي الصحيحة 24، وصححه فيها أيضا تحت حديث 3130 وقال: أخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، وفي صحيح الترغيب 1090، 2265، وفي غاية المرام 40، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 659]

وقد تأكد اهتمام الإسلام بحسن معاملة الحيوان لا سيما عند ذبحه حين رتب على ذلك جزاء عظيما وهو نزول الرحمات من الله على من يرحم الحيوان كما ثبت من حدي معاوية بن قرة عن أبيه ﷺ: قَالَ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ فَأَرْحَمُهَا أَوْ قَالَ إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحُهَا قَالَ وَالشَّاةَ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ مَرَّتَيْنِ [صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد 373 واللفظ له، والبوصيري في إتحاف الخيرة 4676، وابن أبي شيبة في مصنفه 25870 ولفظ الثلاثة: رَحِمَكَ اللَّهُ مَرَّتَيْنِ، ورواه الحاكم في المستدرك 6482، و7562، والطبراني في الصغير 301، وفي الأوسط 2736، 3070، وفي الكبير 44، 45، 46، 47، وفي مكارم الأخلاق 49، وأحمد في المسند 15630، 20379، والهيثمي في غاية المقصد 2414/1، وفي كشف الأستار 1221، وفي مجمع الزوائد 6029، والبزار في مسنده 3319، وأبو نعيم في معرفة الصحابة 5779، وفي الحلية 302/2، 343/6، و وأبو بكر القطيعي في جزء الألف دينار 282،

والمقدسي في ذخيرة الحفاظ 3815، وابن الأعرابي في معجمه 1313، والروياني في مسنده 942، وابن عدي في الكامل 376/5، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق 215/19، والبيهقي في شعب الإيمان 11067، 11069، وفي الآداب 35 كلهم عن معاوية بن قرة عن أبيه، ورواه البيهقي في شعب الإيمان 11068، وابن عدي في الكامل 161/5 عن معقل بن يسار، كلهم دون لفظ: (مَرَّتَيْنِ)، وصححه البوصيري في إتحاف الخيرة، وصححه الألباني في الأدب المفرد، وفي الصحيحة 26، وفي صحيح الترغيب 2264، وفي صحيح الجامع 7055، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند وقال في الرواية الأولى: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير زياد بن مخراق: وهو المزني فقد روى له البخاري في " الأدب المفرد " وأبو داود، وقال في الثانية: إسناده صحيح، وصححه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين 1077 وقال: هذا حديث صحيح]

ورحمة الله متحققة للعبد سواء أرحم حيوانا كبيرا أو صغيرا

كما ثبت من حديث أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةَ [حسن: رواه الطبراني في الكبير 7915 واللفظ له، والبيهقي في شعب الإيمان 11070، والمقدسي في ذخيرة الحفاظ 5313، والهيثمي في مجمع الزوائد 6031 وقال رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وحسنه الألباني في صحيح الجامع 6261، وفي الصحيحة 27] وفي رواية عنه ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةَ [حسن: رواه البخاري في الأدب المفرد 381 واللفظ له، والطبراني في الكبير 7913، وتمام الرازي في الفوائد 1245، والهيثمي في مجمع الزوائد 6030، وحسنه الألباني في الأدب المفرد، وانظر الصحيحة 27]

وكما أدب الإسلام المسلم مع الكائنات المسخرة التي تؤكل فقد أدبه أيضا مع نظيرتها المسخرة التي لا تؤكل كما ثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ؛ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا قَالَ: فِي كلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب السلام، باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها 1447] وعنه أيضا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ[متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب السلام، باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها 1448] فتأمل كيف كانت رحمتها بالحيوان سبب في رحمة الله لها ومغفرته ذنوبها

وكما رتب الإسلام جزاء حسنا ورحمات لمن يشفق بالحيوان ويرحمه كذلك رتب على من يعذبه حتى الموت جزاء سيئا ولعنات كما تقدم والعذاب في النار يوم القيامة كما ثبت من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا إِذْ هِيَ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب السلام، باب: تحريم قتل الهرة1446، وكتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الي لا يؤذي 1683]

وقد رأى تلك المرأة في النار لما عرضت عليه النار في صلاة الكسوف كما ثبت من حديث جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ النَّاسُ إِنَّمَا انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ. فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَصَلَّى بِالنَّاسِ سِتَّ رَكَعَاتٍ بِأَرْبَعِ سَجَدَاتٍ بَدَأَ فَكَبَّرَ ثُمَّ قَرَأَ فَأَطَالَ الْقِرَاءَةَ.. إلى أن قال رضي الله عنه: ثُمَّ تَقَدَّمَ وَتَقَدَّمَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى قَامَ فِي مَقَامِهِ فَانْصَرَفَ حِينَ انْصَرَفَ وَقَدْ آضَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَإِنَّهُمَا لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ – وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِمَوْتِ بَشَرٍ – فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلاَّ قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلاَتِي هَذِهِ لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي. وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهِرَّةِ الَّتِي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا.... الخ ». [صحيح: رواه مسلم، كتاب الكسوف، باب: ما عرض على النبي في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار 2140 (آض: صار ورجع، الخشاش: هوام الأرض وحشراتها واحده خَشَاشَة،

القُصب: الأمعاء)]

وتلك المرأة كانت من بني إسرائيل كما ثبت في رواية عنه رضي الله عنه قَالَ كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ فَأَطَالَ الْقِيَامَ حَتَّى جَعَلُوا يَخِرُّونَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ فَصَنَعَ نَحْوًا مِنْ ذَاكَ فَكَانَتْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ ثُمَّ قَالَ « إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ – أَوْ قَالَ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا – فَقَصُرَتْ يَدِى عَنْهُ وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ. وَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لاَ يَخْسِفَانِ إِلاَّ لِمَوْتِ عَظِيمٍ وَإِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُرِيكُمُوهُمَا فَإِذَا خَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ ». [صحيح: رواه مسلم، كتاب الكسوف، باب: ما



عرض على النبي في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار 2138] وفي رواية ثالثة لمسلم عنه ﷺ قَالَ « وَرَأَيْتُ فِي النَّارِ امْرَأَةً حِمْيَرِيَّةً سَوْدَاءَ طَوِيلَةً ». وَلَمْ يَقُلْ « مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ». [صحيح: رواه مسلم، كتاب الكسوف، باب: ما عرض على النبي في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار 2139]

عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى صَلَاةَ الْكُسُوفِ...إلى قولها: ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ قَدْ دَنَتْ مِنِّي الْجَنَّةُ حَتَّى لَوْ اجْتَرَأْتُ عَلَيْهَا لَجِئْتُكُمْ بِقِطَافٍ مِنْ قِطَافِهَا وَدَنَتْ مِنِّي النَّارُ حَتَّى قُلْتُ أَيْ رَبِّ وَأَنَا مَعَهُمْ فَإِذَا امْرَأَةٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ تَخْدِشُهَا هِرَّةٌ قُلْتُ مَا شَأْنُ هَذِهِ قَالُوا حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا لَا أَطْعَمَتْهَا وَلَا أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ قَالَ نَافِعٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ مِنْ خَشِيشِ أَوْ خَشَاشِ الْأَرْضِ) [صحيح: رواه البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب: ما يقول بعد التكبير 712، وكتاب المساقاة (الشرب) باب: فضل سقي الماء 2235]

فكيف كان عذابها يا ترى؟ نتعرف على ذلك مما ثبت من حديث عَبْدِ اللهِ بْن عَمْرٍو ﷺ يَقُولُ: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَامَ وَقُمْنَا فَصَلَّى ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا يُحَدِّثُنَا فَقَالَ: (لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ حَتَّى لَوْ شِئْتُ لَتَعَاطَيْتُ مِنْ قُطُوفِهَا وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَلَوْلَا أَنِّي دَفَعْتُهَا عَنْكُمْ لَغَشِيَتْكُمْ وَرَأَيْتُ فِيهَا ثَلَاثَةٌ يُعَذَّبُونَ: امْرَأَةً حِمْيَرِيَّةً سَوْدَاءَ طَوِيلَةً تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا أَوْثَقَتْهَا فَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ وَلَمْ تُطْعِمْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَهِيَ إِذَا أَقْبَلَتْ تَنْهَشُهَا وَإِذَا أَدْبَرَتْ تَنْهَشُهَا...الخ) [صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه 5622 وصححه شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الترغيب 2274 بلفظ: وَرَأَيْتُ فِيهَا ثَلَاثَةٌ يُعَذَّبُونَ: امْرَأَةً مِنْ حِمْيَرِ طَوالَة رَبطَتْ هِرَّةً لَهَا لَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ فَهِيَ تَنْهَشُ قُبُلَهَا وَدُبُرَهَا، وصححه لغيره في صحيح الترغيب أيضا تحت الحديث السابق بلفظ ابن حبان الأول]

وحتى الحمير كان لها من اهتمام النبي ﷺ وإشفاقه عليها نصيبا وافرا كما ثبت من حديث جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِحِمَارٍ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ « أَمَا بَلَغَكُمْ أَنِّي قَدْ لَعَنْتُ مَنْ وَسَمَ الْبَهِيمَةَ فِي وَجْهِهَا أَوْ ضَرَبَهَا فِي وَجْهِهَا ». فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ. [صحيح: رواه أبو داود في سننه 2564 وصححه الألباني في سنن أبي داود، وفي إرواء الغليل 242/7، وفي الصحيحة 1549، وفي غاية المرام 179/1، وصححه شعيب الأرنؤوط في التعليق على سنن أبي داود، (وسم: عُلم بالكي)]

ولقد ضرب السلف الصالح رضوان الله عليهم جميعا أروع الأمثلة في حسن معاملة الكائنات الحية المسخرة لخدمتنا ونختار منها:

ما جاء من حديث المسيب بن دارم قال رأيت عمر بن الخطاب ضرب جمالا وقال لم تحمل على بعيرك ما لا يطيق [صحيح: رواه ابن سعد في الطبقات 127/7، وصححه الألباني في الصحيحة تحت حديث 30 وقال: و سنده صحيح إلى المسيب ابن دار، و لكني لم أعرف المسيب هذا. ثم تبين لي أن الصواب في اسم

أبيه (دارم)، هكذا ورد في سند هذا الأثر عند أبي الحسن الأخميمي في " حديثه " (ق 62 / 2)، و هكذا أورده ابن أبي حاتم

في " الجرح و التعديل " (4 / 1 / 294) و قال: " مات سنة ست و ثمانين " و لم يذكر فيه جرحا و لا تعديلا، و أما ابن حبان فذكره في " الثقات " (1 / 227) و كناه بأبي صالح].

ومنها ما ثبت عن وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ وَكَانَ وَهْبٌ أَدْرَكَ ابْنَ عُمَرَ لَيْسَ فِي كِتَابِ ابْنِ مَالِكٍ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَأَى رَاعِيَ غَنَمٍ فِي مَكَانٍ قَبِيحٍ وَقَدْ رَأَى ابْنُ عُمَرَ مَكَانًا أَمْثَلَ مِنْهُ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَيْحَكَ يَا رَاعِي حَوِّلْهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ كُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ [صحيح: رواه أحمد في المسند 5869 واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد 416، والطبراني في الكبير 13284، والبيهقي في شعب الإيمان 11063، وصححه الألباني في الأدب المفرد، وحسنه في الصحيحة تحت حديث 30، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند وقال: صحيح وهذا إسناد حسن]

ومنها ما ثبت من حديث أبي عُثْمَانَ الثَّقَفِي قَالَ كَانَ لِعُمَر بن عَبْد الْعَزِيزِ غُلَامٌ يَعْمَلُ عَلَى بَغْلٍ لَهُ يَأْتِيهِ بِدِرْهَمٍ كُلَّ يَوْم فَجَاءَهُ يَوْمًا بِدِرْهَمٍ وَنِصْف فَقَالَ مَا بَدَالَكَ فَقَالَ نَفَقَتِ السُّوق قَالَ لَا وَلَكِنَّكَ أَتْعَبْتَ الْبَغْلَ أَرِحْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّام [صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية 260/5 باللفظ المذكور، 273 بلفظ: يَأْتِيهِ كُلَّ يَوْم بِدِرْهَمٍ فَجَاءَهُ يَوْمًا بِدِرْهَمَيْنِ فَقَالَ مَا بَدَالَكَ قَالَ نَفَقَتِ السُّوق قَالَ لَا وَلَكِنَّكَ أَتْعَبْتَ الْبَغْلَ أَجِمَّهُ ثَلَاثَةَ أَيَّام، وصححه الألباني في الصحيحة تحت حديث 30 وقال: رواه أحمد في " الزهد " (19 / 59 / 1) بسند صحيح إلى أبي عثمان]

ونكمل الآن الأحاديث التي تؤكد أن الكون كله علويه وسفليه كائن حي

فمنها حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ الْجَنَّةُ اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنْ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ النَّارُ اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنْ النَّارِ [صحيح: رواه النسائي في سننه 5521 واللفظ له، وفي الكبرى7962، 9938، وفي عمل اليوم والليلة 110، وابن ماجة في سننه 4340، والترمذي في سننه 2572، والحاكم في المستدرك 1960، وابن حبان في صحيحه 1014، و1034، والهيثمي في موارد الظمآن 2433، وأبو يعلى في مسنده 3682، 3683، وأحمد في المسند 12191، 12462، 12607، 13196، 13781، والبزار في مسنده 7583، وابن أبي شيبة في مصنفه 30427، والضياء في المختارة 1557، 1558، 1559، 1560، وابن بشران في أماليه 349، والطبراني في الدعاء 1310، 1311، 1312، والبيهقي في الدعوات الكبير 269، وهناد في الزهد 173، وتمام الرازي في الفوائد 704، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات (الفوائد) 1132، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 6194، وصححه الألباني في سنن النسائي وابن ماجة والترمذي، وفي صحيح

الجامع 5630، 6275، وصححه لغيره في صحيح الترغيب 3654، وصححه شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان، وصححه في المسند فقال في الأُولَيَيْنِ: حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن، وقال في الثالثة: إسناده حسن، وفي الرابعة: إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير بريد بن أبي مريم ، فقد روى له البخاري في " الأدب المفرد " وأصحاب السنن ، وهو ثقة، وفي الخامسة: حديث صحيح وهذا إسناد حسن من أجل يونس بن أبي إسحاق، وصححه حسين سليم أسد إسناده في مسند أبي يعلى، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 123] وفي رواية من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: مَا اسْتَجَارَ عَبْدٌ مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي يَوْمٍ إِلَّا قَالَتِ النَّارُ: يَا رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ فُلَانًا قَدِ اسْتَجَارَكَ مِنِّي فَأَجِرْهُ وَلَا يَسْأَلُ اللهَ عَبْدٌ الْجَنَّةَ فِي يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ فُلَانًا سَأَلَنِي فَأَدْخِلْهُ [صحيح: رواه أبو يعلى في مسنده 6192 واللفظ له، والبيهقي في الدعوات الكبير 270، وإسحاق بن راهويه في مسنده 213، والطيالسي في مسنده 2579، وأبو نعيم في صفة الجنة 68، 69، والهيثمي في كشف الأستار 3175، وفي مجمع الزوائد 17351، وابن حجر في المطالب العالية 3418، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة 6291، 2/6291، وصححه الألباني في الصحيحة 2506، وفي صحيح الترغيب 3653 وقال: رواه أبو يعلى بإسناد على شرط البخاري ومسلم]

وهو صريح في كون الجنة والنار تسمعان وتتكلمان وهذا الكلام علامة ظاهرة على حياتهما، بل وفيه إثبات محبتهما للمؤمنين..

ومنها حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَقُولُ قَطِ قَطِ وَعِزَّتِكَ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْض. [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب: النار يدخلها الجبارون.. الخ 1810] وقد تقدم ذكر قوله تعالى{ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} ق: 30 وهو صريح في كون النار تتكلم كلاما اختياريا كالمكلف فكلامها لم يكن من جنس الذكر الذي سُخِّرَت له وجُبِلَت عليه، بل قالت: هل من مزيد وقالت: قط قط وعزتك، وهذا كلام نابع من ذاتها لم تؤمر به وهذا معناه أن لها وللجنة أيضا كما سيأتي فكرا ورأيا واختيارًا فيما تقول لأنها ببساطة كائنات حية بكل ما تحمله الكلمة من معان.. ويؤكد هذا حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ – وَرُبَّمَا قَالَ أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ – وَقَالَ لِهَذِهِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا »[صحيح: رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء 7351]



وفي رواية أخرى عنه ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ قَالَ اللهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِىءُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ قَطٍ قَطٍ قَطٍ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِىءُ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلاَ يَظْلِمُ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَأَمَّا الْجَنَّةُ، فَإِنَّ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، يُنْشِىءُ لَهَا خَلْقًا [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء 1809] وفيهما دلالة واضحة على كونهما تتكلمان مع رب العزة ﷻ كلام العاقل الذي يبدي التذمر والشكوى في حالة عدم بيان الحكمة وظهورها في بعض الأمور، وثم خاطبها المولى سبحانه خطابه للعاقل المدرك لما يخاطب به، فالله قد أودع فيهما ما تتكلمان به وتفهمان به أيضا فقال للأولى: أنتِ عذابي وللثانية: أنتِ رحمتي.

ومنها حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا؛ فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب المساجد، باب: استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر.. الخ 359] وهو صريح في كون النار كائن حي تشتكي من تلقاء نفسها لأن لها اختيارا.

والأرض أيضا لها حظ وافر من صفات الكائن الحي فهي تسبح وتعبد وتجري وتسمع الخير والشر من حولها وتطيع أمر ربها إذا أمرت بأي شيء فهي تأكل أجساد الموتى من خلال الدود وهي تبتلع من شاء الله بالخسف كما قال عن قارون { فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ} القصص: 81 وكما ثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه 1351] ولما أمرها الله أن تبتلع ماء الطوفان امتثلت الأمر يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ هود: 44

ومنها حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ إِذَا كَانَ أَجَلُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ أَوْثَبَتْهُ إِلَيْهَا الْحَاجَةُ فَإِذَا بَلَغَ أَقْصَى أَثَرِهِ قَبَضَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَتَقُولُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَبِّ هَذَا مَا اسْتَوْدَعْتَنِي [صحيح: رواه ابن ماجة في سننه 4263 والفظ له، والبوصيري في مصباح الزجاجة 1533، والحاكم في المستدرك 122، 123، 124، 1358، والبيهقي في شعب الإيمان 9889، وابن أبي عاصم في السنة 392، وابن أبي حاتم في علل الحديث 1073، وابن بطة في الإبانة 1886، ورواه سعيد بن منصور في التفسير 894، والدارقطني في العلل239/5 موقوفا على عبد





الله، وصححه الألباني في سنن ابن ماجة، وفي ظلال الجنة 392، وفي الصحيحة 1222، وفي صحيح الجامع 745، وصححه د. عثمان عبدالله آدم الأثيوبي في الإبانة، والبوصيري في مصباح الزجاجة وقال: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وانظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور 100/4. ـ أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين]

ومن حديث أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَام وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلَاةِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ أَيْ يَقُولُونَ قَدْ بَلِيتَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ السَّلَام [صحيح: رواه النسائي في السنن 1374 واللفظ له، وفي الكبرى 1666، وفي كتاب الجمعة 13، والشيباني في الآحاد والمثاني 1577، والحاكم في المستدرك 1029، 8681، والطبراني في الأوسط 4780، وفي الكبرى 589، والطبري في تهذيب الآثار 354، وأبو داود في سننه 1049، 1533، وابن ماجة في سننه 1085، 1636، والبوصيري في مصباح الزجاجة 388، والبيهقي في الكبرى 5789، وفي الصغرى 634، وفي معرفة السنن والآثار 6680، وفي شعب الإيمان 3029، وفي فضائل الأوقات 275، والدارمي في سننه 1572، وابن خزيمة في صحيحه 1733، وأحمد في المسند 16207، والبزار في مسنده 3485، وابن أبي شيبة في مصنفه 8789، وأبو نعيم في معرفة الصحابة 989، والمروزي في الجمعة وفضلها 13، وإبراهيم الحربي في غريب الحديث 67/1، وصححه الألباني في سنن النسائي وأبي داود وابن ماجة، وفي إرواء الغليل 34/1، وفي التوسل 58/1، وفي صحيح الجامع 2212، وفي الصحيحة 1527، وفي تحقيق فضل الصلاة على النبي 22، وفي صحيح الترغيب 1674، وفي المشكاة 1361، وصححه حسين سليم أسد في سنن الدارمي، والأعظمي في صحيح ابن خزيمة، وشعيب الأرنؤوط في المسند وقال: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح غير صحابيه فمن رجال أصحاب السنن]

وفي رواية عنه ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِن مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خَلَقَ اللهُ آدَمَ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فأَكْثِرُوا عَلَى مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ". قَالُوا: وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟ – أَيْ: بَلِيتَ–. فَقَالَ: "إِن اللهُ –جَلَّ وَعَلا– حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَامَنَا" [صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه 910 واللفظ له، والهيثمي في موارد الظمآن 550 وعنده (وَقَدْ أَرَمْتَ؟ – أَيْ: بَلِيت ـ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب 696]

ومن حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا" قَالَ: قُلْتُ: وَبَعْدَ الْمَوْتِ؟

قَالَ: "وَبَعْدَ الْمَوْتِ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ"، فَنَبِيُّ اللَّهِ حَيٌّ يُرْزَقُ [صحيح: رواه ابن ماجة في سننه 1637 واللفظ له، والبوصيري في مصباح الزجاجة 602، والطبري في تهذيب الآثار 354، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح 1366، وحسنه لغيره في صحيح الترغيب 1672وقال: رواه ابن ماجه بإسناد جيد] وهو صريح في كون الأرض كائن حي تعي وتفهم ما تؤمر به وتنفذ الأوامر على أكمل وجه، وإذا كانت الأرض قد حرم عليها أن تأكل أجساد الأنبياء فإنه قد أجيز لها أن تأكل من ابن آدم كل شيء إلا عجب الذنب كما ثبت من حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال « إِنَّ فِي الإِنْسَانِ عَظْمًا لاَ تَأْكُلُهُ الأَرْضُ أَبَدًا فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». قَالُوا أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « عَجْبُ الذَّنَبِ »[صحيح: رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين 7605] وفي رواية عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ »[صحيح: رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين 7604]

وقد تقدم قول الله تعالى { يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا } الزلزلة: 4-5

والآيتان صريحتان في كون الأرض تتحدث يوم القيامة بكل ما حدث على ظهرها، وبأن الله قد أوحى لها والوحي لا يكون إلا للعاقل لما يوحى إليه به وإلا لما كان للوحي معنى ولا حكمة، فالوحي للجماد المحض الذي لا حياة ولا عقل فيه محض عبث. والله أحكم الحاكمين سبحانه أن يصدر عنه إلا كل حكمة وإن لم نقف عليها أو نفهمها.

قال الأستاذ الدكتور حكمت بن بشير في كتابه " الصحيح المسبور ": "وقد أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد {وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا} قال: أمرها، فألقت ما فيها وتخلت. وبسنده الصحيح عن مجاهد في قوله {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا} قال: تخبر الناس بما عملوا عليها. وعنه أيضا بسنده الصحيح عن مجاهد{بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا}قال: أمرها. [الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور - (ج 4 / ص 659) بتصرف يسير، وانظر تفسير الطبري - (ج 24 / ص 548، 549)]

ومنها حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ......إلى أن قَالَ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ

حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي قَالَ وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللَّهِ وَغَضَبٍ.... إلى أن قال: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ [صحيح: رواه أحمد في المسند 18557 واللفظ له، والهيثمي في غاية المقصد 1/ 1643، 1647/1، وفي مجمع الزوائد 4266، وعبد الله بن أحمد في السنة 1438، 1441، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة 1850، والحاكم في المستدرك 107، والطبراني في تهذيب الآثار (مسند عمر بن الخطاب) 718، 720، 722، وفي الأحاديث الطوال 25، والبيهقي في شعب الإيمان 395، وفي إثبات عذاب القبر 20، 44، والطيالسي في مسنده 753، وابن أبي شيبة في مصنفه 12185، وعبد الرزاق في مصنفه 6737، والروياني في مسنده 391، 392، وابن المبارك في الزهد 1219، وهناد في الزهد 339، وأبو جهم الباهلي في جزئه 55/1، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة 2140، وصححه الألباني في صحيح الجامع 1676، وفي صحيح الترغيب تحت حديث 3558، وفي مشكاة المصابيح 1630، وانظر أحكام الجنائز 158/1، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند وقال: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح، وصححه مصطفى العدوي في صحيح الأحاديث القدسية 35/1، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 141]

ومنها: حديث أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ ». [صحيح: رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة رقم 1910، وحديث 1912 من نفس الباب عن النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلاَبِيَّ]

وحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ فَيُشَفَّعَانِ [صحيح: رواه أحمد في المسند 6626 واللفظ له، والهيثمي في غاية المقصد 1883/1، 3248/2، وفي مجمع الزوائد 5081، 18543، والبيهقي في شعب الإيمان 1994، والحاكم في

المستدرك 2036، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة 2192، وعبد الله بن المبارك في المسند 96، وفي الزهد 385، وأبو نعيم في الحلية 161/8، ومحمد بن نصر في مختصر قيام الليل 46/1، وصححه الألباني في صحيح الجامع 3882، وفي تمام المنة 394/1، وفي المشكاة 1963، وفي صحيح الترغيب 984 وقال: حسن صحيح، 1429 وقال: صحيح]

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غفر لَهُ {تبَارك الَّذِي بِيَدِهِ الْملك}الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ [صحيح: رواه ابن ماجة في سننه 3786 واللفظ له، وأبو داود في سننه 1400 ولفظه تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ، والبيهقي في الصغرى 1010، وفي شعب الإيمان 2506، وفي إثبات عذاب القبر 151، والنسائي في الكبرى 11612، وإسحاق بن راهويه في مسنده 122، وأبو نعيم في أخبار أصبهان 1536، وابن السني في عمل اليوم والليلة 683، والفريابي في فضائل القرآن 33، ومحمد بن الضريس في فضائل القرآن 235، والديلمي في الفردوس 3500 كلهم بلفظ: لصاحبها، ورواه أحمد في المسند 7962، والحاكم في المستدرك 2075، 3838، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة 5870، والترمذي في سننه 2891، وعبد بن حميد في مسنده 1445، وابن بشران في أماليه 225، ومحمد بن نصر في مختصر قيام الليل 163/1، ومحمد بن الضريس في فضائل القرآن 236 كلهم بلفظ: لرجل، ورواه ابن حبان في صحيحه 787، و788، والهيثمي في موارد الظمآن 1766 بلفظ: تستغفر لصاحبها، وصححه الألباني في سنن ابن ماجة، وحسنه في سنن الترمذي وأبو داود، وفي صحيح الجامع 2091، 2092، وفي المشكاة 2153، وحسنه لغيره في صحيح الترغيب 1474، "وحسنه شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان، وحسنه لغيره في سنن أبي داود وقال: حسن لغيره وهذا سند رجاله ثقات غير عباس الجشمي، وفي المسند وقال: حسن لغيره رجاله ثقات رجال الشيخين غير عباس الجشمي "، وصححه البوصيري في إتحاف الخيرة، وانظر الصحيح المسبور 514/5، و مختصر موسوعة فضائل سور وآيات القرآن القسم الصحيح ص 83 لمحمد بن رزق بن طرهوني]

وفي رواية عنه ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثِينَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ» [حسن لغيره: رواه أحمد في المسند 8259 واللفظ له، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن 160/1، 161، ورواه النسائي في الكبرى 10546، وفي عمل اليوم والليلة 710 بلفظ: إِن سُورَة فِي الْقُرْآن (ثَلَاثِينَ) آيَة شفعت لصَاحِبهَا حَتَّى غفر لَهُ {تبَارك الَّذِي بِيَدِهِ الْملك}، وحسنه شعيب الأرنؤوط لغيره في المسند وقال: حسن لغيره رجاله ثقات رجال الشيخين غير عباس الجشمي فمن رجال السنن]



ومن حديث أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً، خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ». [صحيح: رواه الطبراني في ألأوسط 3654، وفي الصغير 490، والهيثمي في مجمع الزوائد 11430، والضياء في المختارة 1739 باللفظ المذكور، 1738 بلفظ: سُورَةٌ فِي الْقُرْآنِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثِينَ آيَةً خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ»، و شُهْدَة بنت أحمد في العمدة من الفوائد والأثار الصحاح والغرائب 58 بنحوه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح، " وصححه ابن حجر في تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير 575/1 بعد ذكر حديث أبي هريرة المتقدم فقال: وله شاهد من حديث ثابت عن أنس رواه الطبراني في الكبير بإسناد صحيح "، إلا أننا لم نقف على رواية الطبراني في الكبير، وحسنه الألباني في صحيح الجامع 3644، وحسنه الضياء في المختارة بلفظيه، وانظر مختصر موسوعة فضائل سور وآيات القرآن القسم الصحيح ص 84 لمحمد بن رزق بن طرهوني]

وهذه الأحاديث السابقة تؤكد أن القرآن يتكلم ويدافع عن صاحبه يوم القيامة ويستغفر له، وكذلك الصيام الذي هو عَرَض أو حالة يعيشها الإنسان وليس شيئا ماديا يراه الناس أو يستطيعون وصف شكله ولونه..

فحتى الأعراض والرموز والمعاني تتكلم كمثل حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ الله الخَلْقَ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ، قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمانِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ. قَالَتْ: هاذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ. قَالَ: أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلى يَا رَبِّ! قَالَ: فَذَاكِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِن شِئْتُمْ {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}. [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها 1655]

ومنها حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ لِهَذَا الْحَجَرِ لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَقٍّ [صحيح: رواه أحمد في المسند 2398 واللفظ له، والبيهقي في الصغرى 1624، وفي شعب الإيمان 4035، والحاكم في المستدرك 1680، وابن حبان في صحيحه 3711، والهيثمي في موارد الظمآن 1005، وابن خزيمة في صحيحه 2736، وأبو يعلى في مسنده 2719، والضياء في المختارة 208، 210، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال 336، وصححه الألباني في صحيح ابن خزيمة، وفي صحيح الجامع 2184، وصححه شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقوى إسناده في المسند فقال: إسناده قوي على شرط مسلم، وصححه حسين سليم أسد في مسند أبي يعلى]

وفي رواية عنه ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ الْحَجَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ بِهِ عَلَى مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ [صحيح: رواه أحمد في المسند 2643 واللفظ له، والبيهقي في الكبرى



9014، وفي شعب الإيمان 4037، والدارمي في سننه 1839، والطبراني في الكبير 12479، والضياء في المختارة 209، والمقدسي في ذخيرة الحفاظ 4644، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند، وحسين سليم أسد في سنن الدارمي والألباني في مناسك الحج والعمرة 20/1 رقم 30، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي تحت حديث 595] وعنه أيضا ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَجَرِ وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ [صحيح: رواه الترمذي في سننه 961، وصححه الألباني في سنن الترمذي، وفي صحيح الجامع 7098، وفي صحيح الترغيب 1144، وفي المشكاة 2578، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 595]

وفي رواية عنه ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَأْتِيَنَّ هَذَا الْحَجَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَى مَنْ يَسْتَلِمُهُ بِحَقٍّ [صحيح: رواه ابن ماجة في سننه 2944 واللفظ له، والبيهقي في شعب الإيمان 4036 ولفظه: لَيَأْتِيَنَّ هَذَا الْحَجَرُ الْأَسْوَد يَوْمَ الْقِيَامَةِ...الخ وصححه الألباني في سنن ابن ماجة، وفي صحيح الجامع 5346] وفي أخرى عنه ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَيُبْعَثَنَّ الْحَجَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ وَيَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ [إسناده قوي: رواه أحمد في المسند 2797 وقوى شعيب الأرنؤوط إسناده في المسند فقال: إسناده قوي رجاله ثقات رجال الصحيح] وفي غيرها قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي هَذَا الْحَجَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ [صحيح: رواه أحمد في المسند 2215 واللفظ له، والفاكهي في أخبار مكة 2، 3، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند]

وفي رواية لأحمد عنه ﷺ قال ﷺ يُبْعَثُ الرُّكْنُ [صحيح: رواه أحمد في المسند 2798، واللفظ له، والديلمي في الفردوس 233 ولفظه: إن الله عز وجل يبعث الركن الأسود وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به ويشهد لمن استلمه بحق، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند بلفظ أحمد]

ومن حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَأْتِي الرُّكْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مِنْ أَبِي قُبَيْسٍ لَهُ لِسَانٌ وَشَفَتَانِ [حسن لغيره: رواه أحمد في المسند 6978 واللفظ له، والهيثمي في غاية المقصد 2154/1، وفي مجمع الزوائد 5486، والحاكم في المستدرك 1681، والطبراني في الأوسط 563، والبيهقي في الأسماء والصفات 729، والديلمي في الفردوس 8708، وابن خزيمة في صحيحه 2737، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك 337، وابن الجوزي في العلل المتناهية 945، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه عبد الله بن المؤمل وثقه ابن حبان وقال: يخطئ وفيه كلام وبقية رجاله رجال الصحيح، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب 1145 وقال: رواه أحمد بإسناد حسن. وحسنه شعيب الأرنؤوط لغيره في المسند وقال: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف عبدالله بن المؤمل وباقي رجاله



ثقات رجال الصحيح] ومن حديث اِبْن عَبَّاس ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: لَيَبْعَثَنَّ اللَّه هَذَا الرُّكْن يَوْم الْقِيَامَة لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِر بِهِمَا ، وَلِسَان يَنْطِق بِهِ ، يَشْهَد لِمَنْ اِسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ [صحيح: رواع ابن حبان في صحيحه 3712 واللفظ له، والهيثمي في موارد الظمآن 1005، وابن خزيمة في صحيحه 2735، وصححه شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان، وصححه الألباني لغيره في صحيح ابن خزيمة وقال: إسناده صحيح لغيره فإن فضيل بن سليمان وإن كان فيه كلام من جهة حفظه مع إخراج الشيخين له فقد تابعه جرير بن عبد الحميد عند الترمذي وحسنه وثابت بن يزيد عند المصنف بعده]

والمقصود أن الحجر الأسود وهو حجر أصم له لسانا وشفتين.. كيف؟ لا ندري بل كيف يكون له عينان تبصران؟ إن العقل لا يتخيل حجر له عينان تبصران ولسانا وشفتين! بل وسيشهد لمن استلمه حال الطواف – سواء كان طواف حج أو عمرة أو طواف تطوع – إيمانا واحتسابا.. وليس بعد إثبات اللسان والشفتين دليل على كونه يتكلم ويسبح. فإن قال قائل لكن هذا سيكون يوم القيامة، فنقول له: وهل سيشهد الحجر يوم القيامة إلا وينطق بلسانه ويبصر بعينه من استلمه إلا إذا كان قد رأى أو سمع صوت من استلمه؟

بالتأكيد هو يسمع ويرى والكيف لا نعلمه، وقد كان عمر بن الخطاب يخاطب الحجر الأسود مخاطبة الحي الذي يعقل ويسمع ويرى فجاء خطابه للحجر كأنه يوجه إليه رسالة يشهد بها عليه يوم القيامة كما ثبت عنه ﷺ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلَكَ مَا قَبَّلْتكَ [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب الحج، باب: استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف 799]

وفي رواية للبخاري من حديث زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ لِلرُّكْنِ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ فَاسْتَلَمَهُ [صحيح: رواه البخاري، كتاب الحج، باب: الرمل في الحج والعمرة 1528] وفي رواية لمسلم من حديث سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ ﷺ قَالَ رَأَيْتُ عُمَرَ قَبَّلَ الْحَجَرَ وَالْتَزَمَهُ وَقَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِكَ حَفِيًّا[صحيح: رواه مسلم، كتاب الحج، باب: استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف 3130، حفيًّا: معتنيًا] وفعل عمر وأقواله لهي خير شاهد على أنه يخاطب حجرا يسمع ويرى؛ لأنه يؤمن بكلام النبي ﷺ من كون الحجر سيشهد يوم القيامة على من استلمه فلم يرد عمر أن يستلم ويقبل ويمر هكذا بل أكد لنفسه وللحجر وعلم من يراه ويسمعه من الناس أنه مصدق للنبيﷺ وأنه يلتزم الحجر ويستلمه ويقبله لا لذاته ولا خوفا من ضره أورجاء نفعه وإنما امتثالا لأمر النبي ﷺ. فالحجر إذن كائن حي يسمع ويرى وسيشهد،

فإذا سلمنا للحجر بذلك فهل حياة الحجر الأسود مختلفة عن حياة باقي أحجار الكعبة؟





والجواب: بالطبع لا.. ولكن الفرق فقط في أصل المنشأ فالحجر الأسود من أحجار الجنة كما هو معلوم، وكونه يتكلم وينطق ويسبح فلعموم الأدلة من القرآن والسنة ولهذه الدليل السابق. وقد يستشكل الأمر على البعض فيحتج علينا بأن شهادة الحجر باللسان والشفتين سيكون ذلك يوم القيامة محاولا نفي حياته ومن ثم تسبيحه، ولا حجة له في نفي تسبيحه المطلق منذ خلقه الله وسائر أحجار الجنة لعموم آية الإسراء التي شملت كل شيء ولم تستثن شيء.. وأي شيء هذا الذي يستثنى من تسبيح الله عز وجل!

ومن أدلة حياة الكون ما ثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنْ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ فَيَقُولُ إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَبِكُلِّ مَنْ ادَّعَى مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَالْمُصَوِّرِينَ [صحيح: رواه أحمد في المسند 8411 واللفظ له، والبيهقي في شعب الإيمان 6317، وفي البعث والنشور 524، والدارقطني في العلل 1937، والترمذي في سننه 2574 ولفظه: تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ.. الخ، وصححه الألباني في سنن الترمذي، وفي صحيح الجامع 8051، وفي الصحيحة 512 وقال: و إسناده صحيح على شرط الشيخين، وفي صحيح الترغيب 3061، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين 1406 وقال: هذا حديث صحيح ورجاله ثقات. ، وانظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور 131/3]

وفي رواية من حديث أَبِي سَعِيدٍ ﷺ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنْ النَّارِ يَتَكَلَّمُ يَقُولُ وُكِّلْتُ الْيَوْمَ بِثَلَاثَةٍ بِكُلِّ جَبَّارٍ وَبِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَبِمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ فَيَقْذِفُهُمْ فِي غَمَرَاتِ جَهَنَّمَ [حسن: رواه أحمد في المسند 11372 واللفظ له، والهيثمي في غاية المقصد 3279/2، والبوصيري في إتحاف الخيرة 7829، والطبراني في الأوسط 318، 3981، وعبد ابن حميد في مسنده 896، وابن أبي شيبة في مصنفه 35278، وأبو نعيم في معرفة الصحابة 3177، وابن سمعون في أماليه 259، والبيهقي في البعث والنشور 525، وأبو يعلى في مسنده 1138 ولفظه: يُرْسَلُ عُنُقٌ مِنْ جَهَنَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ يَقُولُ: إِنَّ لِي ثَلَاثَةً...الخ، وفي معجمه 177 ولفظه: يَسِيلُ عُنُقٌ مِنْ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. الخ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 6324، وحسنه الألباني في الصحيحة 2699 بلفظ أحمد، وحسنه لغيره في صحيح الترغيب 2451] وهذا من جنس ما يحدث مع الحجر الأسود يوم القيامة

وثبت من حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ.. إلى قوله: قَالَ مُوسَى: ذلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ (أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ) فَسَلَّمَ مُوسَى فَقَالَ الْخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ

فَقَالَ: أَنَا مُوسى فَقَالَ: مُوسى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا يَا مُوسى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الْخَضِرُ، فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ الْخَضِرُ: يَا مُوسى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلاَّ كَنَقْرَةِ هذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ[متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان، كتاب الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام 1539]

وقد ثبت أن الخضر إنما جاء بهذا الكلام من فهمه لكلام العصفور كما ثبت من حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ في رواية بها زيادة على الحديث السابق: قال: لما لَقِي مُوسَى الخَضِر عَلَيْهِمَا السَّلَام جَاءَ طَيْرٌ فَأَلْقَى مِنْقَارهُ فِي الماءِ فقَالَ الخَضِرُ لموسَى تَدَبَّر مَا يَقُولُ هَذَا الطَّيْر قَالَ: وَ مَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَقُولُ مَا عِلْمك وَعِلْم مُوسَى فِي عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَمَا أَخَذَ مِنْقَارِي مِنَ الماءِ [صحيح: رواه الحاكم في المستدرك 3394، وصححه الألباني في الصحيحة 2467 بلفظ: تدري ما يقول هذا الطير؟] فمن أين للطائر بهذا العلم؟ إنه بكل تأكيد كائن حي يعرف ربه حق المعرفة ويعبده حقي العبادة.

أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَيْهِ يَعْنِي شِدْقَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا {لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ} الْآيَةَ [صحيح: رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة 1338]

وفي رواية عنه رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ {وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [صحيح: رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة آل عمران 4289] وفي ثالثة قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَكُونُ كَنْزُ أَحَدِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَفِرُّ مِنْهُ صَاحِبُهُ فَيَطْلُبُهُ وَيَقُولُ أَنَا كَنْزُكَ قَالَ وَاللَّهِ لَنْ يَزَالَ يَطْلُبُهُ حَتَّى يَبْسُطَ يَدَهُ فَيُلْقِمَهَا فَاهُ. [صحيح: رواه البخاري، كتاب الحيل، باب: في الزكاة وأن لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة 6557]

وعند مسلم من حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِىَّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ..... وَلاَ صَاحِبِ كَنْزٍ لاَ يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلاَّ جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَعُهُ فَاتِحًا فَاهُ فَإِذَا أَتَاهُ فَرَّ مِنْهُ فَيُنَادِيهِ خُذْ كَنْزَكَ الَّذِى خَبَأْتَهُ فَأَنَا عَنْهُ غَنِىٌّ فَإِذَا رَأَى أَنْ لاَ بُدَّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِى فِيهِ فَيَقْضَمُهَا قَضْمَ الْفَحْلِ ». [صحيح: رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة 2343] وفي رواية عنه رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: وَلاَ

مِنْ صَاحِبِ مَالٍ لاَ يُؤَدِّى زَكَاتَهُ إِلاَّ تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَعُ صَاحِبَهُ حَيْثُمَا ذَهَبَ وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ وَيُقَالُ هَذَا مَالُكَ الَّذِى كُنْتَ تَبْخَلُ بِهِ فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْهُ أَدْخَلَ يَدَهُ فِى فِيهِ فَجَعَلَ يَقْضَمُهَا كَمَا يَقْضَمُ الْفَحْلُ ». [صحيح: رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة 2343] ومنها نفهم أن أموال وكنوز مانعي الزكاة تتمثل لهم يوم القيامة كائنات حية في صورة الثعابين.. هذه الثعابين تتكلم معهم وتوبخهم وتتبعهم وتقضهم أيديهم وفي هذا منتهى العذاب أن يتجسد العمل السيء للإنسان كائنا حيا طالما خاف وفزع منه في الدنيا وهو الثعبان الشجاع الأقرع ليزداد عذابا فوق العذاب.

وبمثل ذلك يتجسد للإنسان في القبر عمله الصالح أو الفاسد رجلا يلازمه إما بنعيم وإما بعذاب إلى قيام الساعة كما ثبت من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ......إلى أن قَالَ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي قَالَ وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللَّهِ وَغَضَبٍ.... إلى أن قال: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ [صحيح: رواه أحمد في المسند 18557 واللفظ له، والهيثمي في غاية المقصد 1/ 1643، 1647/1، وفي مجمع الزوائد 4266، وعبد الله بن أحمد في السنة 1438، 1441، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة 1850، والحاكم في المستدرك 107، والطبراني في تهذيب الآثار (مسند عمر بن الخطاب) 718، 720، 722، وفي الأحاديث الطوال 25، والبيهقي في شعب الإيمان 395، وفي إثبات عذاب القبر 20، 44، والطيالسي في مسنده 753، وابن أبي شيبة في مصنفه 12185، وعبد الرزاق في مصنفه 6737، والروياني في مسنده 391، 392، وابن المبارك في الزهد 1219، وهناد في الزهد 339، وأبو جهم الباهلي في جزئه 55/1، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة 2140، وصححه الألباني في



صحيح الجامع 1676، وفي صحيح الترغيب تحت حديث 3558، وفي مشكاة المصابيح 1630، وانظر أحكام الجنائز 158/1، وصححه شعيب الأرنؤوط في المسند وقال: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح، وصححه مصطفى العدوي في صحيح الأحاديث القدسية 35/1، وانظر الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين للوادعي 141]

فإذا كان الكون كله كائن حي فهو بالتبعية مسلم لله كيف ذلك؟ وبعبارة أخرى إذا كان الكون كله بكلياته وجزئياته كائن حي إذن فهو قابل لحمل أمانه الدين واستقبال التكاليف من رب العالمين فهل عرضت الأمانة على الكون وما معنى إسلام الكون لله؟

تابع الجزء لثاني من السلسلة (الكون كله مسلم لله)

